منهج ابن عبّاس وأثره في الاتجاهات اللغويّة والبلاغيّة في التفسير

أ. د. عمر يوسف حمزة (*)

(*) رئيس قسم السيرة والشمائل – كلية أصول الدين – جامعة أم درمان الإسلامية – جمهورية السودان.

ملخص البحث:

١ - أجدر الصحابة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي شهد له رسول الله ﷺ بالعلم، ودعا له بقوله: "اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل".

٢ - لم يبق عند منتصف القرن الأول من الهجرة، ومن بين الصحابة وغيرهم إلا مذعن لابن عباس - رضي الله عنهما -، مسلم له مقدرته الموفقة، وموهبته العجيبة، وعلمه الواسع في تفسير القرآن الكريم.

٣ - اتصل تفسير القرآن عند ابن عباس بعناصر كونت منهجه في التفسير وهذه العناصر هي معرفته بأسباب النزول، وعنصر مبهم القرآن، كما استخدم اللغة في فهم معنى المفرد أو فهم سر التركيب، ويتخذ مادة لذلك من الشعر الجاهلي، فكان كثيراً ما يقول عندما يسأل عن معنى من تراكيب القرآن فيقرره: أما سمعتم الشاعر يقول كذا، وينشد البيت، كما أثبت ذلك ابن سعد في الطبقات. وقد اشتهر ابن عباس - رضي الله عنهما - برجوعه إلى الشعر والاستشهاد به لغريب القرآن خاصة، وقد امتد به العمر إلى زمن قل فيه الذين أدركوا الوحي، وضعفت السليقة، واختلط العرب بأقوام العجم.

٤ - أضاف ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى تفسير القرآن عنصر الأخبار التي لم تجيء في حديث النبي ﷺ، مما يرجع إلى بيان مبهمات القرآن: وذلك ما كان يرجع فيه إلى مصادر المعرفة المتوفرة لديهم - يومئذ - من التاريخ العام وأخبار الأمم، لا سيما الأمتين الكتابيتين: اليهود والنصارى، وأخبار العرب في الجاهلية.

٥ - كانت ثقافة ابن عباس - رضي الله عنهما - الأدبية هذه أكبر معوان له على المعالجات اللغوية التي عالج بها لغة القرآن، فهو يفطن للمعنى المقصود من اللفظة المتضادة، مثل (بلاء)، وفي الآية: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (البقرة:٤٩١) قال: نعمة. وهو يقتضي معنى لفظه بعينها في القرآن كله. وهو بهذه الثقافة اللغوية استطاع أن يعرض للفظ الغريب في القرآن كله بالشرح والتفسير. يقول السيوطي في ابن عباس - رضي الله عنهما -: ورد

عنه ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة.. وهو وإن لم يستوعب غريب القرآن فقد أتى على جملة صالحة منه.

٦ - الاتجاهات اللغوية والبلاغية في تفسير القرآن تعتبر امتداداً لمنهج ابن عباس - رضي الله عنهما - لأنه أول من خطى بالتفسير من دائرة المأثورات وحدها إلى دائرة الاستعانة بلسان العرب فيما لم تتعرض له المأثورات، فقد كان ابن عباس ومن تتلمذ عليه من أعلام مدرسة مكة: كمجاهد بن جبر، وعكرمة مولاه، وسعيد بن جبير، هم الممثلون الحقيقيون لهذا الاتجاه خلال القرن الأول.

٧ - فشت طريقة العناية بالعنصر اللغوي إلى جانب المأثورات - بعد أن انضافت إليها بعض المعالجات البلاغية التي أخذت دائرتها تتسع شيئاً فشيئاً حتى غلبت على العنصر اللغوي وإن لم تهمله في كثير من كتب التفسير التي كانت تعرف في هذا القرآن بكتب (معاني القرآن)، وهي لا تخرج - في حقيقة أمرها - عن كونها كتب تفسير تعتمد في المرتبة الأولى على اللغة في تفسير عبارة القرآن الكريم.

٨ - قول ابن عباس - رضي الله عنهما - مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير، فابن عباس كان أمة وحده في العلم والحديث والفقه والتأويل والحساب والفرائض والعربية ومجالسه معروفه، وهو بحق ترجمان القرآن وحبر الأمة.

٩ - أصح أسانيد ابن عباس - رضي الله عنهما - في الحديث ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، وأضعفها ما يرويه (محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وهذه تسمى (سلسلة الكذب) أفاد ذلك الإمام النسائي (رحمه الله تعالى).

١٠- أوهى طرقه في التفسير هي - بالدرجة الأولى - سلسلة الكذب التي تقدم الحديث عنها ثم بالدرجة الثانية طريق الضحاك بن مزاحم، وهي منقطعة، لأنه لم ير ابن عباس - رضي الله عنهما - .

١١- أمَّا طرقه الجيدة في التفسير فهي:

أولاً: طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي، وقد اعتمد البخاري هذه الطريقة فيما يعلقه عن ابن عباس.

ثانياً: طريق قيس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عنه، وهذه الطريق على شرط الشيخين. وبها خرج الحاكم النيسابوري عدداً من الأحاديث في مستدركه.

ثالثاً: طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد ابن جبير، عنه، وبهذه الطريق أخرج ابن جرير الطبري كثيراً من الروايات في تفسيره.

هذا والله ولي التوفيق.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن هذا البحث يتناول " منهج ابن عباس - رضي الله عنهما - وأثره في الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير "

وطبيعة البحث تقتضي أن نعرف كلمة المنهج لغة واصطلاحاً، ثم ترجمة موجزة لابن عباس - رضي الله عنهما -.

معنى المنهج لغة كما ورد في المعاجم(١).

المنهج في اللغة:

من مادة نهج نهجاً، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، يقول جلَّ شأنه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٢).

يقول ابن قتيبة في شرح هذه الآية(٣): (المنهاج): الطريق الواضح، يقال: نهجت لي الطريق: أي أوضحته. وقال ابن عباس: - رضي الله عنهما -: "سبيلاً وسنة"(٤) وقد رجح الإمام ابن كثير تفسير ابن عباس؛ وذلك لظهوره في المعنى ومناسبته(٥).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ج ٢ ص ٣٨٣ مادة نهج، ط بيروت. وانظر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (١/٢٠٩) مادة نهج ط٣ الأميرية ببولاق مصر؛ وأحمد بن علي الفيومي المصباح المنير ص ٤٠ ط. مكتبة لبنان عام ١٩٨٧ م؛ والمعجم الوسيط ج ٢ ص ٩٠٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، ص ١٤٤.

(٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان: ١:٤٦.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٣/١٢٠).

المنهج في الاصطلاح:

هو: الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[١]. وبعبارة أخرى: هو القانون، أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية وفي أي مجال[٢]. ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون - وهو الغالب - مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد[٣].

وخلاصة القول: إن تقدم العلم وتأخره مرتهن بمسألة المنهج، يدور معها وجوداً وعدماً، ولذا يمكن أن يقال: إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما أنه يضبط العقل البشري، والعمل الذهني، بقواعد ثابتة، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات.

ابن عباس (رضي الله عنهما)

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث، وشهد مع علي - رضي الله عنه - الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفى بها عام (٦٨هـ) قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٤].

---

(١) حسين عبد الحميد رشوان: العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم، ص ١٤٣.

(٢) جلال محمد عبد الحميد موسى: منهج البحث العلمي عند العرب ٢٧٣. وانظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية أحمد علي الملا ص ١١٥.

(٣) د. عمر يوسف حمزة: منهج السلف في بيان المحكم والمتشابه، ص ٨.

(٤) الإصابة (٤/ ٩٠) ت ٤٧٧٢ وصفة الصفوة (١/ ٣١٤)، وحلية الأولياء (١/ ٣١٤)، وطبقات بن سعد (٢/ ٣٦٥)، وطبقات القراء (١/ ٤٢٥)، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها (١/ ٢٧)، وذيل المذيل (٢١)، وتاريخ الخميس (١/ ٦٧) ونكت الهميان ونسب قريش ٢٦ والمحبر ٢٨٩.

أسباب نبوغ ابن عباس: (رضي الله عنهما):

شهد رسول الله ﷺ لابن عباس بالعلم ودعا له بقوله: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"[١] وقد بلغ ابن عباس درجة عظيمة من المعرفة والاجتهاد حتى لقب بالحبر والبحر، وبترجمان القرآن.

وقد سلك ابن عباس في بيان القرآن الكريم منهجاً يجمع بين التفسير بالمأثور وبين التفسير على مقتضى الفهم اللغوي للمفردات والتراكيب التي صيغت بها عبارة النصوص القرآنية، بالإضافة إلى العنصر الإخباري الذي يكشف عما ورد في القرآن الكريم، مما يتعلق بأحوال الأمم الماضية، وما كان يقع فيها من أحداث،وما شرع لها من أحكام. وبناء على ذلك فإنه يظهر لنا أن أسباب نبوغ ابن عباس ثلاثة:-

السبب الأول:

معرفته الواسعة بالمأثورات، وذلك من خلال ما سمعه من النبي ﷺ، وهو في سن مبكرة[٢]، يضاف إلى ذلك أنه لازم كبار الصحابة - رضي الله عنهم - بعد وفاة النبي ﷺ، وأخذ عنهم كثيراً مما فاته من حديث رسول الله ﷺ، وقد نَمَّى حصيلته في هذا الباب أنه كان يسعى إلى العلم سعي المجد المريد، فقد جاء عنه أنه قال: " وجدت عامة حديث رسول الله ﷺ عند الأنصار، فإني لآتي الرجل منهم فأجده نائماً، ولو شئت أن يوقظ لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريح حتى يستيقظ متى استيقظ، وأسأله ثم انصرف "[٣].

فالمعلم الأول في منهجه كان الاعتماد على بيان المصطفى وأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - فيما دار حول النص القرآني وأحكامه[٤]، ولكن

---

(١) البرهان (٢/١٦١)، وانظر: الإتقان (٢/٢١٩).
(٢) توفى النبي ﷺ وابن عباس في الثالثة عشر من عمره تقريباً، راجع: الإصابة (٢/ ٢٣٠)، وأسد الغابة (٣/٢٩٠ - ٢٩٤).
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٢ ص ١٢١.
(٤) دراسات في أصول التفسير، د. عمر حمزة ص ٨٦.

الناس تزيدوا في الرواية عن ابن عباس، وتجرأ بعضهم على الوضع عليه، والدس في كلامه[(١)]، حتى قال الإمام الشافعي: " لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث "[(٢)].

السبب الثاني:

يتمثل في معرفته باللغة العربية، حيث كان متمكناً منها شعراً ونثراً، وكان دائم الإحالة في تفسيره على الشعر العربي، يستخرج منه محل الشاهد على الاستخدام القرآني، ويشير على الناس أن يسلكوا هذا المسلك، روى عكرمة عنه أنه قال: " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب "[(٣)]. فقد امتاز ابن عباس في تفسيره برواية الشعر، يستعين بها على فهم معاني الغريب في القرآن، وهذا ما أكده الإمام الطبري وغيره من المفسرين عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.

نقل الإمام السيوطي في الإتقان[(٤)] بعض ما كان بين نافع بن الازرق[(٥)]، وابن عباس من محاورة يطلب فيها ابن الأزرق أشياء من كتاب الله بمصادفة

---

(١) أرجع بعض الباحثين أسباب كثرة الوضع على ابن عباس إلى أنه كان من بيت النبوة، والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره، أضف إلى ذلك أنه كان من نسله الخلفاء العباسيون، وكان الناس يتزلفون إليهم ويتقربون منهم بما يروونه عن جدهم، إن صدقاً وإن كذباً. انظر: التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ج١ ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) الإتقان (٢/٣٢٢)، ومباحث في علوم القرآن ص ٢٩٠ دصبحي الصالح.

(٣) راجع: مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص ٢١.

(٤) الاتقان ج١ ص ١٢٠.

(٥) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله إبن عباس. وله أسئلة: رواها عنه، قال الذهبي: مجموعة في "جزءٍ" أخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير. انظر: ترجمته في: الكامل للمبرد ٢/ ١٧٢ ورغبة الآمل (٧/١٠٣)، والأخبار الطوال ٢٧٨، ولسان الميزان لابن حجر (٦/ ١٤٤)، والأغاني (٦/١٤٢)، والحور العين ١٧٧

من كلام العرب فسأله عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾[1] قال ابن عباس: (العزين): حلق الرفاق. قال: هل تعرف العرب ذلك، قال نعم: أما سمعت قول عبيد ابن الأبرص وهو يقول:

فجاؤا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال ابن قتيبه[2] " عزين " جماعات[3].

وعن قتاده بن دعامة في بيان قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: فرقاً حول النبي ﷺ، لا يرغبون في كتاب الله، ولا في نبيه[4].

عن جابر بن سمرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق، فقال: " مالي أراكم عزين؟". رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير الطبري[5].

ثم سأل نافع بن الأزرق ابن عباس فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[6]، قال: (الوسيلة: الحاجة) قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي[7]

---

(١) سورة المعارج: الآية ٣٧.
(٢) تفسير غريب القرآن، ص ٤٨٦.
(٣) روى عن ابي عبيدة بزيادة (في تفرقة) كما في القرطبي، ج١٨ ص ٢٩٣، والبحر ج٨ ص ٣٣٠. وهو الوارد في الطبري (٢٨/٥٣)، والفخر الرازي (٨/٢٣٥)، والواحد: " عزة " بفتح الزاي مخففة على ما في الفخر (١٨/٢٣٥)، والقرطبي (١٨/٢٩٤)، واللسان (١٩/٢٨٢)، والنهاية (٣/٩٤)، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٩ ص ١٧٧. وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٦.
(٤) تفسير ابن كثير ج٨ ص ٢٢٨، بتحقيق سامي بن محمد السلامة.
(٥) المسند (٥/٩٣)، وصحيح مسلم برقم ٤٣٠، وسنن ابي داود برقم ٤٨٢٣، وسنن النسائي الكبرى برقم ١١٦٢٢، وتفسير الطبري (٢٩/٥٤).
(٦) سورة المائدة: الآية ٣٥.
(٧) الاتقان: ج١ ص١٢٠.

يقول ابن قتيبة: (الوسيلة) القربة والزلفى. يقال: توسل إليَّ بكذا، أي تقرب[١].

وقال بمثل هذا ابن عباس ومجاهد وعطاء وأبو وائل والحسن وقتاده وغيرهم[٢].

والوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضاً: علم على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، وقد ثبت في صحيح البخاري، من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: " من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة "[٣]، وفي صحيح مسلم[٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ".

ومن الأمثلة على استخدام ابن عباس للشعر في بيان غريب القرآن: ما رواه عكرمة أن رجلاً سأل ابن عباس – رضي الله عنهما – عن قول الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٥] قال: لا تلبس ثيابك على غدر، وتمثل بقول غيلان ابن سلمة الثقفي:

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٣ ص ١٠٣ بتحقيق سامي بن محمد السلامة.

(٣) رواه البخاري في كتاب (١٠) الأذان، باب (٨) الدعاء عند النداء حديث رقم ٦١٤، وانظر فتح الباري ج٢ ص ٩٠، ومالك في موطئه في كتاب الصلاة باب (١) ما جاء في النداء للصلاة حديث رقم (٢) (١/٦٧)، وانظر: سبل السلام ج١ ص ٢٦٠.

(٤) رواه مسلم في كتاب (٤) الصلاة باب (٧) استحباب القول مثل قول المؤذن حديث رقم (١٠) (٢/٢٨٨)، وأبو داود في كتاب الصلاة برقم ٥٢٢ (١/١٤٤).

(٥) سورة المدثر: الآية ٤.

لبست ولا من خزيه أتقنع[1]   فإني بحمد الله لا ثوب غادر

قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي طهر نفسك من الذنوب فكنى عنه[2] بثيابه، لأنها تشتمل عليه[3].

قال ابن عيينه[4]: " لا تلبس ثيابك على كذب، ولا فجور، ولا غدر، ولا إثم، البسها: وبدنك طاهر ".

وقال بعضهم: " ثيابك فقصِّر، فإنَّ تقصير الثياب طهر لها "[5].

السبب الثالث:

استعان ابن عباس – رضي الله عنهما – في التفسير بمعرفته التاريخية، فقد كان على علم واسع بالناحية التاريخية التي كانت لعصره، يضاف إلى ذلك معرفته بأخبار أهل الكتاب. ومعلوم أن المعرفة التاريخية في عصر ابن عباس كانت محدودة ذلك أن الأمة العربية كانت أمية، وكل معرفتها تنقل عن طريق الرواية دون التسجيل والمعروف أن عصب التاريخ التدوين، وهو أمر لم يكن شائعاً بينهم، فالعنصر التاريخي يمثل جانباً من الأخبار، أما عنصره الآخر فكان الشائع بين أهل الكتاب، وكان الجاهليون يتناقلونه عنهم وهو يفتقر إلى الدقة أيضاً، لأن أهل الكتاب الذين خالطوا العرب لم يكونوا أحسن حالاً منهم، فهم بادون مثلهم، تنحصر معارفهم فيما

---

(١) البيت في اللسان (١/٢٣٨)، والشوكاني (٥/٣١٥)، وورد في الطبري (٢٩/٩١)، والقرطبي ج١ ص٦٢، والبحر (٨/٣٧١)، والدر المنثور (٥/٢٨١) منسوباً إلى غيلان بن سلمة الثقفي.

(٢) أي عن النفس، كما روى عن ابن عباس في القرطبي (١٩/٦٢) وعبارة المشكل ١٠٧ " عن الجسم " أي عن المعاصي الظاهرة. وانظر الفخر الرازي (٨/٢٦٢)، واللسان (١/٢٣٩).

(٣) تفسير غريب القرآن، ص ٤٩٥.

(٤) كما في القرطبي (١٩/٦٣) باختصار.

(٥) ذكر في اللسان (١/٢٣٨)، والفخر الرازي (٨/٢٦٢)، والكشاف (٢/٥٠١)، والبحر (٨/٣٧١) وهو رأي الزجاج وطاووس والفقهاء، ومروي أيضاً عن ابن عباس على ما في القرطبي (١٩/٦٤)، والشوكاني (٥/٣١٥) وحكى الشافعي نحوه في الأم (١/٤٧)، والأحكام ص ٨١.

جاءت به كتبهم من أخبار الأمم الماضية، وبدء الخليقة والتكوين، وقد كثر في أخبارهم الخلط والكذب، لما ناله من التحريف على أيديهم. والآيات التي وردت في القرآن الكريم تدل على وقوع التحريف في مصادرهم كثيرة، وأساليب التعبير فيها متعددة، فقد عبر القرآن عن ذلك بالتحريف وبالكتمان، وبلبس الحق بالباطل، وبليّ ألسنتهم بالكتاب، ونبذه وراء ظهورهم، وبتحريفه عن مواضعه، وبتحريفه من بعد مواضعه، وبنسيانهم حظاً مما ذكروا به[١].

كما أن المعرفة التاريخية محل خلاف بين العلماء من حيث القبول والرفض، لاحتمال الصدق والكذب في الأخبار[٢].

أثر منهج ابن عباس – رضي الله عنهما – في الاتجاهات اللغوية والبلاغية:

يعتبر التفسير من أقدم علوم القرآن نشأة، فقد واكب التفسير نزول الوحي بالقرآن على النبي ﷺ، وكانت تلك ضرورة تفرضها حاجة الناس إلى نوع من البيان يتناول ما غمض من بعض نصوصه، وكان المبين الأول للقرآن الكريم النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] فلما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان الأمر في البيان يرد إلى ما أثر عنه في ذلك، وإلى اجتهادات الصحابة الذين عايشوا التنزيل، وأحاطوا بأسباب نزوله، وبرز من بين هؤلاء الصحب[٤]. في هذا

---

(١) راجع الآيات في سورة البقرة (٧٥، ١٧٤)، آل عمران (٧١ / ٧٨)، النساء (٤٦)، سورة المائدة (١٣)، الأنعام (٩١)؛ وانظر: الكتاب القيم للأستاذ شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٣٤ - ٥٢ طبعة دار المعارف.

(٢) دراسات في أصول التفسير، ص ٨٨، د. عمر يوسف حمزة.

(٣) سورة النحل: آية ٤٤، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(سور النحل / ٦٤).

(٤) المفسرون من الصحابة كثيرون، إلا أن مشاهيرهم عشرة: (الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن ابي طالب – رضي الله عنه – والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم، وأجدر هؤلاء العشرة جميعاً بلقب المفسر هو: عبد الله بن عباس، وقد تقدم معنا أن رسول الله ﷺ شهد له بالعلم، ودعا له، وسماه ترجمان القرآن، انظر: البرهان (٢/ ١٦١)، والإتقان (٢/ ٣١٨).

الميدان: عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –، فكانت أغلب جهوده منصرفة إلى هذا الجانب، وأعانه على هذا ما كان له من علم استقاه من الرسول ﷺ، ومن كبار الصحابة، بالإضافة إلى معرفته الواسعة بأحوال العرب ولغتهم، وأخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما رأينا ذلك مفصلاً في معالم منهجه في التفسير، ثم كانت مدرسة مكة التي تنسب إليه، ومن تتلمذ له من أعلامها، قال ابن تيمية: – رحمه الله – " أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس: كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس، وغيرهم كما في الإتقان (٢/٣٢٣)، فكان ابن عباس – رضي الله عنهما – أول من خطا بالتفسير من دائرة المأثورات وحدها إلى دائرة الاستعانة بلسان العرب فيما لم تتعرض له المأثورات، خلال القرن الأول.

ولا يفهم من هذا أن استخدام عنصر اللغة لم يكن قائماً قبل ابن عباس فالقرآن الكريم عربي اللفظ والعبارة، وإن كان عالمي العقيدة والشريعة، فليس الإسلام إقليمياً إلا من حيث اللغة العربية التي نزل بها، لأن الرسول ﷺ عربي، والله تبارك وتعالى يرسل كل رسول بلسان قومه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[١]، وقد استعان الناس – من وقت نزول القرآن – باللغة العربية لفهم عبارته، إلا أن عباس قوى هذا الاتجاه، وقد كان الدافع لهذا حاجة الناس للتفسير في عصر ابن عباس الذي كثر فيه المسلمون الجدد، وأيضاً لضعف اللغة العربية وبعد مستواها عن لغة القرآن، ويعتبر هذا – بلا شك – إضافة جديدة إلى التفسير على مقتضى المأثورات. وقد كان هذا الاتجاه في التفسير نقلة كبيرة حيث انتقل التفسير الأثري الذي يعتمد على الرواية، إلى التفسير الأثري النظري، الذي يعتمد على الرواية والدراية معاً، وهذا الاتجاه مهد لظهور المنهج الجامع في التفسير بين الرواية والدراية، ولا سيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين على يد جماعة من علماء التفسير[٢].

---

(١) سورة ابراهيم: آية ٤.

(٢) التفسير والمفسرون، ج١ ص ١٤١.

حين انتقل أمر التفسير إلى أعلام القرن الثاني كان أهم من مثل هذا الاتجاه يحيى بن سلام التميمي البصري الإفريقي المتوفى سنة (٢٠٠هـ)، قال ابن حزم: سكن إفريقية دهراً، وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن، وليس لأحد من المتقدمين مثله[(١)].

ومن معالم منهجه: أنه كان يورد المأثورات، ويختار منها، ويبني اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي، وتفسيره يقع في ثلاثة مجلدات ضخمة وإن كان لا يزال مخطوطاً، ونسخة بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة، ومكتبة جامع القيروان، وبعض المكتبات الخاصة[(٢)]. ثم فشت هذه الطريقة – طريقة العناية بالعنصر اللغوي إلى جانب المأثورات – بعد أن ضافت إليها بعض المعالجات البلاغية التي أخذت دائرتها تتسع شيئاً فشيئاً، حتى غلبت على العنصر اللغوي، وإن لم تهمله في كثير من كتب التفسير التي كانت تعرف في هذا القرن بكتب "معاني القرآن" وهي لا تخرج في حقيقة أمرها عن كونها كتب تفسير تعتمد في المرتبة الأولى على اللغة في تفسير عبارة القرآن الكريم

ومن هذه المصنفات: كتاب "معاني القرآن" لمؤلفه يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكريا، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو وفنون الأدب كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، توفي سنة سبع ومائتين من الهجرة[(٣)].

وكتاب (معاني القرآن) للفراء هو أحد المحاولات المبكرة التي تمثل هذا

---

(١) غاية النهاية لابن الجزري (٢/٣٧٣)، وانظر ترجمة يحيى بن سلام في طبقات علماء إفريقية لابن العرب ٣٧ - ٣٩، ومعالم الإيمان (١/٢٣٩ - ٢٤٥)، وميزان الاعتدال (٣/٢٩٠)، ولسان الميزان (٦/٢٥٩)، ورياض النفوس (١/١٢٢)، وفهرسة ابن خير ص ٥٦، وطبقات المفسرين للداوودي، وبرنامج المكتبة العبدلية (١/٤٤)

(٢) التفسير ورجاله للشيخ محمد الفاضل بن عاشور ص ٢٨ – ٢٩.

(٣) إرشادات الأديب (٧/٢٧٦)، ووفيات الأعيان (٢/٢٢٨) وابن النديم ٦٦ – ٦٧، ومفتاح السعادة (١/١٤٤)، ونزهة الألبا (١٢٦)، ومراتب النحويين ٨٠، والصفية (٤/٦٤٨).

الاتجاه وهو من أقدم التفاسير اللغوية التي نقلت إلينا[١] وهو يمثل لجوانب المذهب الكوفي في النحو، وقد خاض الفراء في كتابه هذا في فنون العربية جميعاً، وإن غلب عنصر النحو على غيره، محتجاً بأن أساس التفسير هو الاعتماد على اللغة، وهي منضبطة في تراكيبها بضابط النحو، كما أبرز فيه كل قدراته العلمية حين انبرى لتوضيح معاني القرآن، ومع أنه ملأ مصنفه هذا بالاصطلاحات والأقيسة والتعليلات اللغوية، إلا أنه يتسم بالسهولة واليسر، الأمر الذي قرب مضامينه للقاريء[٢].

وقد اهتم الفراء في كتابه بالقراءات والاستشهاد لها والاختيار منها وتوجيه ما يختاره، كما اهتم بالإعراب، وتوسع في ذكر اللغات المختلفة للفظة الواحدة مع بيان المضمرات، والتزم المأثورات في التفسير، ولم يتجاوزها إلا إذا انصرف إلى الإعراب والاستشهاد بالشائع في اللغة، أو عند سرد اللغات المختلفة، أو عند بيان اشتقاقات اللفظة وردها إلى أصلها.

والمعالجة البيانية واضحة كثيرة في "معاني القرآن"، فالفراء يتكلم عن الكناية، وذلك عند تفسيره لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾[٣]، فيقول: إن المقصود بالجلود هنا الكناية عن الفروج[٤]. وقال بمثل هذا ابن قتيبة، ومكي ابن أبي طالب، والراغب الأصفهاني، كما هو رأي السدي وغيرهم[٥]، وتناول الفراء التشبيه لقول الله

---

(١) انظر: النحو وكتب التفسير، د.إبراهيم رفيدة ج١ ص ١٨٦.

(٢) مراتب النحويين، لأبي الطيِّب اللغوي، ص ٨٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وطبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ص ١٤٣.

(٣) سورة فصلت: الآية ٢٠، وانظر: معاني القرآن للفراء ج٢ ص ٤٢٦.

(٤) معاني القرآن للفراء ج٢ ص ٤٢٥.

(٥) تفسير غريب القرآن (٣٨٩)، وكتاب تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي ابن أبي طالب ص ٩٥، والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٩٥، وقال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية ج ١٥ ص ٣٥: الجلود يعني بها الجلود بأعيانها في قول أكثر المفسرين، ثم قال: وقال السدي وعبيد الله ابن ابي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج، وقد نقل الطبري رأي السدي بهذه الصيغة " وقد قيل: أراد بالجلود في هذا الموضع الفروج. انظر الطبري ج١٥ ص ٩٩ انتهت بتصرف.

تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ (الجمعة/٥)، كما تحدث عن المجاز بصورته البلاغية في قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة/٣).

وتناول الاستعارة تلميحاً عند تفسيره لقول الله جلَّ شأنه: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ (القلم / ٤٢)، فقال: إنه من المجاز عن الحال إذا اشتدت، وقال بمثل هذا ابن قتيبه كما في غريب القرآن والمشكل، واستشهد على ذلك بقول الشاعر.

في سنة قد كشفت عن ساقها حَمْراءَ تبري اللحم عن عُرَاقِها[1]

ويقال: " قامت الحرب على ساق "[2].

والمباحث النحوية في مصنف الفراء تأخذ حيزاً كبيراً حتى ليمكن القول: بأنه في جملته تفسير نحوي، يتجه إلى تأصيل النحو، ودعم المذهب الكوفي، انطلاقاً من النص القرآني، على الرغم مما جاء فيه من معالجة بيانه[3].

ومن الأمثلة على المباحث النحوية في كتاب الفراء قوله: إن جزم المضارع في جواب الأمر على المجازاة أو التشبيه بالجزاء والشرط على ما يقرره لجواز الرفع والجزم، أو وجوب أحدهما، حيث يكون الفعل بعد النكرة أو المعرفة، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾[4]،

---

(١) وقال بهذا قتادة بن دعامة كما في المشكل (١٠٣)، والطبري (٢٧/ ٢٤)، وروي نحوه عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وانظر: الفخر الرازي ج٧ ص ٢٠٣، والقرطبي ١٧/ ٢٤٩، والدر المنثور ٥/ ٢٥٥، وهو اختيار أبي عبيدة وأهل اللغة، كما نقل ذلك أبو حيان في البحر (٧/ ٣١٦)، وابن منظور في اللسان (١٢/ ٣٤).

(٢) وهو على المثل كما في اللسان (٣٤١٢)، وقد بين هذه الآية بالتفصيل ابن قتيبة في المشكل ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) معاني القرآن للفراء ج١ ص ١٣٢ - ١٣٣، وانظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حنفي شرف، ط. القاهرة

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

يقول: نقاتل مجزومة، ولا يجوز رفعها[١]. فإن قرئت بالياء " يقاتل " صلة لملك كأنك قلت: ابعث لنا الذي يقاتل، فإن رأيت بعد الأمر اسماً نكرة بعده فعل يذكره ويصلح في ذلك الفعل اضمار الاسم جاز فيه الرفع والجزم[٢].

وهكذا نجده ينطلق من الآية القرآنية لتقرير القواعد النحوية وتأصيلها، ويوجهه في ذلك طبيعته النحوية، فهو لا يكاد يذكر في تفسير هذه الآية سوى أحكام وضوابط جزم الفعل المضارع في جواب الأمر وما يناسبه.

وبعد هذه الوقفة مع الفراء في مصنفه " معاني القرآن " يتبين لنا أنه من كتب التفسير اللغوي الرائدة في هذا المجال، والذي سبق به الفراء عصره، ومهما كانت غلبة الجانب النحوي في هذا المصنف على غيرها، فإن هذا يعزي إلى تخصيص مؤلفه الأول وصناعته الدائمة، والكتاب مع ذلك لا يخلو من لمحات تفسيرية أصيلة تشهد بطول باع صاحبه في مجال التفسير اللغوي والسبق فيه، وتلك - بلا مشاحة - امتداد لما سبق من محاولات في هذا الميدان، وخطوة في طريق تأصيله، غرس نبتتها الأولى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - بمنهجه الذي سار عليه في تفسير القرآن الكريم، والذي نما على أيدي من تتلمذ عليه وترعرع حتى أثمر في القرن الثاني كتاب "معاني القرآن" للفراء، وكتاب "معاني القرآن" للأخفش[٣]، ويعد كتاب الأخفش "معاني القرآن" من الكتب الأولى في دراسة القرآن الكريم فهو ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء من كتب المعاني التي جاد بها الزمان فقدر للأجيال المعاصرة دراستها، وقد ألفه بعد اتصاله بالكسائي ببغداد[٤]

---

(١) ذكر الزمخشري أنه قرىء بالرفع فأعربه حالاً مقدرة، وجوز أن يكون مستأنفاً، انظر: الكشاف ج١ ص ٣٧٨، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٢) معاني القرآن للفراء ج١ ص ١٥٧.

(٣) هو: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، ولد في العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة في الأرجح، واختلف في تاريخ وفاته، لكنها بعد سنة سبع ومائتيين للهجرة، انظر: ترجمته في: مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة القاهرة وأخبار النحويين البصريين للقاضي أبي سعيد السيرافي، طبعة القاهرة، وطبقات النحويين واللغويين لمحمد بن الحسن الزبيدي ط القاهرة ١٣٧٣ هـ.

(٤) طبقات النحويين (٧٠)، أنباء الرواة (٢/٣٦)، الفراء (١٢٨).

وأما المادة العلمية في كتاب معاني القرآن للأخفش فعند النظر الفاحص يتضح لنا أن الأخفش تناول الموضوعات الآتية:

أ - الأصوات اللغوية:

يتناول الأخفش الأصوات اللغوية في كلامه على عدد من الآي الكريمة فيحاول وصف مخارجها مواضع، وبيان صفاتها تقارباً وتباعداً، وجهراً وهمساً[(١)]، وأطباقاً وانفتاحاً، والأصوات المتناولة بهذا هي: " التاء، والثاء، والدال، والذال، والصاد، والطاء، اللام ".

وقد أفاد الأخفش في كتابه كثيراً من الفوائد - مستمدة من لغات العرب - قد أقيمت على الصوت وما يدخله من اتباع، ومن تأثير بعضه في بعض، أو من موقف لغة أو غيرها من لفظة أو أسلوب من حيث الصوت.

ب - كلام العرب:

يمثل كلام العرب أساساً مهماً من أسس الكتاب؛ لأنه الكلام الذي يقاس به غيره، ويعتمد عليه في معرفة القصد والجور فيما نحا نحوه واتخذ سمته، وإذا كان القرآن الكريم من كلام العرب فإن معرفة جوانبه، لغة وصرفاً ونحواً وبلاغة - لا تتم إلا بالرجوع إلى كلام العرب، وتبين خصائصه ومناهجه في التأليف والتعبير[(٢)].

ج - لغات العرب:

يسجل لنا الأخفش في معاني القرآن كثيراً من سمات لغات العرب، معتمداً

---

(١) الهمس: هو في اللغة الخفاء، وفي الاصطلاح: جريان النفس عند النطق بالحرف، وذلك لضعف الاعتماد على المخرج وحروف الهمس (عشرة) وهي: " الفاء، والحاء، الثاء، الهاء، الشين، والخاء، الصاد، السين، الكاف، التاء ". وضد الهمس (الجهر) فالجهر في اللغة: الإعلان، وفي الاصطلاح: انحباس جري النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج، وحروف الجهر هي ما تبقى بعد صفة الهمس ومجموعها (تسعة عشر) انظر: لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن، ص ٢٥٥ صابر غانم المنكوت

(٢) معاني القرآن للأخفش ج١ ص ٢٣.

عليها في بيان وجوه القراءات المختلفة، وشرح ما يجد من المواقف في دراسته معاني الكتاب الكريم، وقلما كان الأخفش يعين القبيلة أو المنطقة معاد اللغة التي يستشهد بها على الكثرة الكاثرة، لاستشهاده بلغات العرب(١).

ويمكن القول باطمئنان: إن الأخفش بكتابه (معاني القرآن) قدم للمكتبة العربية المعاصرة ولدارسي العربية، والقرآن الكريم نصاً يعد من النصوص الأولى التي تناولت اللغة والقرآن الكريم بالدرس والبحث، مستعينة بما كانت تجده بين يديها من سماع وقياس وقراءة.

والكتاب يعد مثالاً لما كانت عليه عقلية الدارسين الأوائل من النحاة والصرفيين واللغويين من صفاء لم تعكره مؤثرات المنطق والتفلسف العقلي، وهذا بلا شك يعتبر من أثر منهج ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير القرآن الكريم في القرن الثاني الهجري وما بعده. والشواهد على ذلك كثيرة في "معاني القرآن" للأخفش، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿فما ربحت تجارتهم﴾(٢) فهذا على قول العرب(٣): " خاب سعيك "، وإنما هو الذي خاب.

وإنما يريد (فما ربحوا في تجارتهم)، ومثله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾(٤)، و﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾(٥)، إنما هو: (ولكن البر بر مَن آمن بالله)(٦). وقال الشاعر(٧):

---

(١) معاني القرآن (١/ ٢٩) إلى ٤٣ إلى غير ذلك من الموضوعات التي تناولها الأخفش في كتابه.

(٢) وتمامها (وما كانوا مهتدين) سورة البقرة: الآية ٦.

(٣) معاني القرآن للأخفش ج١ ص ٢٠٦.

(٤) سورة سبأ: الآية ٣٣، وفي إعراب القرآن (٢/ ٨٨٠)، والجامع (١٤/ ٣٠٢)، عن الأخفش (هذا مكر الليل والنهار).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٦) الكتاب جمع أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ج١ ص ١٠٨، وما بعده أثبته هو عبارة الكتاب نفسها. انظر معاني القرآن ج١ ص ٢٠٧.

(٧) هو النابغة الجعدي أبو ليلى عبد الله بن قيس.

وكـيـف تـواصــل مــن أصــبــحــت خـــلالـــتـــه كـــأبـــي مَـــرْحَـــبِ[1]

وقال الشاعر[2]:

وشــر المنـايـا مـيـت وسـط أهــلــه كهلك الفتى أسلم الحي حاضره[3]

إنما يريد "وشر المنايا منية ميت وسط أهله، ومثله: "أكثرُ شربي الماء"، و "أكثر أكلي الخبز" وليس أكلك بالخبز ولا شربك بالماء. ولكن تريد أكثر أكلي أكل الخبز وأكثر شربي شرب الماء، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف/٨٢) يريد: (أهل القرية) و (العير) أي: (واسأل أصحاب العير) وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ (البقرة /١٧١)، فإنما هو - والله أعلم - " مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به " فحذف هذا الكلام ودل ما بقى على معناه. ومثل هذا في القرآن كثير.

قال الأخفش: وقال بعضهم: (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق) يقول: " مثلهم في دعائهم الآلهة كمثل الذي ينعق بالغنم " لأن - آلهتهم لا تسمع ولا تعقل، كما لا تسمع الغنم ولا تعقل[4].

قال ابن قتيبة[5]: وكان " بعض أصحاب اللغة " يذهب في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ (البقرة /١٧١) إلى مثل هذا في القلب، ويقول: وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم. وكذلك قوله سبحانه: ﴿مَآ إِنَّ

---

(١) شعر النابغة الجعدي (٢٦)، وفي الكتاب (١/ ١١٠) للمعنى نفسه، وفي مجالس ثعلب (٧٧) بـ " صاحب " بدل " تواصل " وفي الأمالي (١/١٩٢) بـ " تصادف " وانظر: الصحاح " خلل "، والأنصاف (١/ ٤٤).

(٢) هو: الحطيئة جرول بن أوس العيسى.

(٣) وفي ديوان الحطيئة (٤٥) بلفظ (هالك) بدل " ميت "، و " ايقظ " بدل " أسلم "، وفي الكتاب (١/ ١٠٩) بلفظ " الفتى قد " بدل " الفتاة " وكذلك في الأنصاف (١/ ١٠٩).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٠٨).

(٥) تأويل مشكل القرآن ص ١٩٨. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٦٣).

مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ (القصص /٧٦) أي: تنبض بها وهي مثقلة.

أما الاتجاه اللغوي الذي يغلب عليه البيان فكان رائده في هذا القرن أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المتوفى عام (٢١٠/٢١١) من الهجرة[١]، وهو من أعلم معاصريه بالأخبار والغريب وأيام العرب[٢]، ويرجع تأليف " مجاز القرآن " إلى عام ١٩٠ من الهجرة، والسبب الذي دفع صاحبه إلى تصنيفه يرجع إلى اشتباه إبراهيم بن إسماعيل في قول الحق تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[٣] وكان ذلك في مجلس للفضل بن الربيع سنة ١٨٨ من الهجرة وبحضور أبي عبيدة[٤] وسؤاله عن ذلك، فلما ذهب إلى البصرة ألف كتابه " مجاز القرآن " للاختلاف بين المفسرين حول التشبيه في الآية الكريمة.

وكتاب " مجاز القرآن " يتداول بين الناس على أنه من كتب التفسير اللغوي، ذلك أن كلمة المجاز هنا لم يقصد بها المعنى الاصطلاحي من قسيم الحقيقة، بل أريد به ما يؤول إليه معنى الآية، وقد جعل أبو عبيدة طريقه إلى فهم القرآن سبيل العرب في كلامها، واستعمالاتها في صياغة التراكيب، وإدراك المستفاد من معانيها في ضوء من هذا جميعه، ومن هنا كانت كلمة " مجاز " في عنوان الكتاب إنما يقصد بها إلى طرق العرب في كلامها ومآخذها من ذكر وحذف وتشبيه وزيادة وتقديم وتأخير وإفراد وجمع وغيرها[٥]؛ لأن دلالة كلمة مجاز - في القرنين الثاني والثالث - كانت تنصرف إلى عدة وجوه.

---

(١) انظر: الفهرست لابن النديم، ص ٥٣.
(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت، ج١٩ ص ١٥٥ طبعة دار المأمون.
(٣) سورة الصافات: آية ٦٥، ومعنى الآية ﴿طلعها﴾ أي حملها، سمي طلعاً لطلوعه في كل سنة. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص ٣٧٢.
(٤) انظر: ترهة الالباب، ص ١٤١ - ١٤٢ نشر مدرسة الأندلس.
(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ٢٠-٢١.

أحدها: بمعنى التفسير والتأويل[١] وهو الذي قصد إليه أبو عبيدة عند تفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢] بقوله: (مجازه إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله.. وقوله عز وجل: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[٣] بقوله: (مجازه ليس فيها غول...، ومنه قول المبرد: مجاز الطعام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة)[٤].

ثانيها: أنها كانت بمعنى الأسلوب وطريق الأداء.

ثالثها: أنها كانت مقابلة لمعنى الحقيقة، أي التي استعملت في غير ما وضعت في أصل اللغة[٥].

ولقد لفت إلى صنيع أبي عبيدة - فيما قصد إليه من معنى المجاز - القاسمي في تفسيره، وذلك حيث قال: وأول من عرف أنه تكلم بمعنى المجاز أبو عبيدة في كتابه، ولكنه لم يعن بالمجاز قسيم الحقيقة بل عنى بمجاز الآية ما يعبر عنها[٦]. وهذا ما أشار إليه بعض المحدثين بقوله: كأنه يقصد بالمجاز تفسير التعبير القرآني بما عرف عن العرب

من أساليب التعبير وشواهدها، فالتسمية لغوية وليست اصطلاحية[٧].

ومما يدل لذلك أيضاً طريقته في التفسير، فهو عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[٨]يقول: العصمه الحبل والسبب[٩] وهو

---

(١) الاتقان (٢/ ٦٠)، وانظر: البهان (٢/٢٦٢)، وجازات القرآن، ص ٣٥٤.
(٢) سورة الصافات: الآية: ٣٥.
(٣) سورة الصافات: الآية ٤٧.
(٤) الكامل، ج١ ص ١٤.
(٥) كتاب الحيوان للجاحظ، ج٥ ص ١٠.
(٦) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ج١ ص ٢٢٢.
(٧) مناهج التفسير، د. مصطفى الصاوي الجويني ص ٧٨.
(٨) سورة الممتحنة: الآية ١٠.
(٩) مجاز القرآن ج٢ ص ٢٥٧.

ولم يقتصر الزجاج على الدرس النحوي للنصوص، بل يمتد إلى جميع فروع الدرس اللغوي، من ذلك دراسته للألفاظ التي تكرر ورودها واختلفت معانيها، وهو في هذا اللون من الدرس غير مبتدع إذ سبقه إليه يحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ من الهجرة في كتاب التصاريف(١). وقد جمع فيه ابن سلام الوجوه التي ينصرف إليها اللفظ الواحد في مثل صنيعة عند تفسيره كلمة (كفر) حيث يقول الكفر على أربعة وجوه.

الأول: الكفر بمعنى الكفر نفسه، أي الكفر بتوحيد الله، والإنكار له، كالذي جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(٢).

الثاني: الكفر يعني الجحود، كالذي جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٣) يعني جحدوا به وهم يعرفون.

الثالث: الكفر يعني كفر النعمة، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾(٤).

الرابع: الكفر يعني البراء: وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾(٥).

---

(١) تقدم الحديث عنه ويحيى بن سلام من كبار مفسري القرن الثاني الهجري ويعتبر أستاذ الطبري في منهجه الذي سار عليه في جامع البيان، انظر: التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور، ص ٢٨ – ٢٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٢، وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: (فلا كفران لسعيه ((الأنبياء/ ٩٤) وأعظم الكفر: جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً. انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٤٣٣/ ٤٣٤.

(٥) سورة الممتحنة: الآية ٤.

يعني "تبرأنا منكم"[١]، وجاء الزجاج فأسهم في تطوير هذا اللون من البحث، بما ضمنه كتابه إعراب القرآن، وهو بلا شك امتداد لمنهج ابن عباس في التفسير البياني، والزجاج بمنهجه الذي سار عليه، وموضوعاته التي عالجها، يقف في صف أصحاب كتب المعاني في التفسير التي بدأت بكتابي الفراء وأبي عبيدة، والتي تمثل تيار التفسير اللغوي الذي كان الاتجاه إليه سمة من سمات القرنين الثاني والثالث الهجريين وإن اختلف المذاق بين كل منهم ومنهجه الذي ارتضاه؛ والذي لاشك أن هذه المجموعة من المؤلفات المبكرة هي التي مهدت لدرس الإعجاز البلاغي للقرآن وما نجم عنه من بحوث سنتابع بعضها على سبيل المثال بشيء من التفصيل.

قبل أن ننتقل إلى تناول عمل البلاغيين والأدباء في التفسير الذي انصب درسهم على قضية الإعجاز في مواجهة ما أثاره المغرضون من شبهات حول بلاغة النص، والمتشابه من آياته، وتصدى البلاغيين والأدباء لهم، منظرين تارة ومطبقين أخرى، نود أن نقف قليلاً لنتصور حياة التفسير في هذه المرحلة، لأنه بغير التمهيد لذلك لا يمكن معرفة أسباب تلك النقلة.

كان علم التفسير لهذا العصر تتبادله طائفتان:

الأولى: طائفة أهل الرواية أصحاب التفسير الأثري.

الثانية: طائفة أهل الدراية أصحاب التفسير النظري، وقد توسعت الطائفة الأولى في جمع كل ما قيل في التفسير رواية، دون تمحيص أو درس، أما الثانية فلم تجد في نفسها منعاً لقبول هذا السيل الجارف الذي يقف العقل من بعضه موقف الشاك.

وجاء الإمام البخاري ليساند الطريقة الأولى، ولكن بعد أن أخضع مرويات المأثورات للدرس الفاحص سنداً ومتناً، وطبق عليها شروطه في قبول الحديث[٢]، فجعل البخاري أساس عمله في تفسير اللغة بتحقيق معاني الألفاظ

---

(١) التصاريف ليحيى بن سلام، ص ٤ مرجع سابق.
(٢) اشترط البخاري اللقاء بين الراوي ومن أخذ عنه، بيان العلم (١/٧٦)، والكفاية في علم الرواية ص ١٢، وعلوم الحديث ص ٦٩، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح.

المحتاجة إلى بيان وضبط مراجع اشتقاقها، ومواقع استعمالها، وتحري ما هو مأثور عن الصحابة، أو مرفوع للنبي ﷺ: من قول في معاني الآيات بجعله معلقاً على الثبوت من طرق ثبوت الحديث عنده بشروطه الضيقة الدقيقة في المتن والإسناد، فإن ورد بذلك الطريق التزمه، وحدث به بأسانيده، وإلا أبقاه على تعليقه، غير ملتزم الأخذ به، كما فعل ذلك بالنسبة إلى أخبار السنة. وإن كان عمله هذا في أخبار التفسير أوسع، وقد ألف على هذا المنهج تأليفاً مستقلاً سماه "التفسير الكبير" لم يصل إلينا، ولا إلى أهل القرون التي مرت قبلنا، وقد ذكره صاحب كشف الظنون، ولكن الذي وصل إلينا من عمل البخاري في التفسير: هو ما اشتمل عليه جامعه الصحيح، فقد أورد فيه شيئاً كثيراً من أخبار التفسير، حتى كانت الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ، من ذلك بين معلق وموصول أكثر من ألف حديث، منها: ما أخرجه في كتاب خاص - معقود لذلك - من كتب جامعه الصحيح، هو كتاب التفسير، وهو يعادل في مقداره عشر الجامع الصحيح، ومنها ما تفرق بين الكتب الأخرى من كتب الأحكام وغيرها بمناسبة ما يدخل في مواضيعها من الآيات.

وتبنى المتكلمون الاتجاه الآخر وساندوه بما كان لهم من براعة في علوم العربية وقدرة على الحجاج، وإلى هذا يشير أحد العلماء المعاصرين[1] بقوله: ولا شك في أن للأصول التي تكون عليها المذهب الكلامي القديم تأثيراً قوياً في دفع التفسير العلمي في وجهته قدماً يصادم به التفسير بالمأثور وينال منه. فإن من الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال وفرقت بينه وبين المذهب السني السلفي: أصل المعتزلة في تأويل متشابه القرآن، الذي كان يمسك عن تأويله مذهب أهل السنة، وذلك - لا جرم - فاتح للمعتزلة مسلكاً في تقليب أوجه دلالة القرآن على ما يحملونه له من المعاني غير مفتوح لغيرهم ممن لا يؤولون، ممسكين ومفوضين.

---

(١) هو: الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه: التفسير ورجاله ص ٦٤ فما بعده مرجع سابق.

ولا مراء في أن أصحاب التفسير العقلي لعصر الطبري وما قبله، بل واللاحقين من بعده كانوا من المعتزلة: أمثال أبي هذيل العلاف، والنظام[١]، وأبي على الجبائي[٢]، والشريف المرتضى[٣]، وأبي مسلم الأصفهاني[٤]، ومما لا جدال فيه أيضاً أن هؤلاء – فضلاً عما أباحوا لأنفسهم الخوض فيه مما أمسك عنه أهل السنة – كانت لهم قدم راسخة في معرفة العربية، وفنون الجدل المختلفة الأمر الذي أتاح لهم توجيه بعض الآيات – وحملها على ما يرونه من مذاهب عجيبة.

ولعل أول من هاجم الاتجاه الأثري في التفسير هو المتكلم الشهير أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وهو من الموالي، كان تلميذاً لأبي الهذيل العلاف، ثم انفرد بمذهب خاص، وعاش جلَّ حياته ببغداد[٥]، وكان شاعراً أديباً متكلماً نابغة حاذقاً، فاق أستاذه في الجدل والمناظرة[٦]، وكان مما قاله في ذلك ونقله عنه تلميذه الجاحظ: لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير روية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم، وليكن عندكم

---

(١) هو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: "الأوائل يقولون: في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك. انظر: ترجمته في اللباب (٣/ ٢٣٠)، وخطط المقريزي (١/ ٣٤٦)، وسفينة البحار (٢/ ٥٧٩)، والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٣٤)، والمسعودي (٦/ ٣٧١).

(٢) هو: محمد بن عبد الوهاب إمام المتكلمين في عصره، له مقالات وتصانيف، منها: "التفسير"، و "متشابه القرآن". توفى عام ٣٠٣هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٨٩).

(٣) هو: علي بن طاهر، من سلالة موسى الكاظم، من أشراف العلويين، كان إماماً في علم الكلام والأدب، توفى سنة ٤٣٦هـ. انظر: وفيات الأعيان ج١ ص ٣٣٦.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهرابزاد النحوي الأديب، صنف تفسيراً في عشرين مجلداً، وكان غالياً في الاعتزال. توفى سنة ٤٥٩هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ج٢ ص ١١٢.

(٥) انظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين ج٣ ص٦، والفهرست لابن النديم ص ٢٥٢.

(٦) انظر: الحيوان ج٢ ص ١٨.

عكرمة، والكلبي، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر الأصم في سبيل واحدة، فكيف اثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم.

وقد كان النظام شديد الإيمان بالعقل، يحكمه في كل ما يعرض له، واسع الحرية في التفكير، ناقداً عنيفاً للمرويات، يقف من المحدثين موقف الشاك لما ينقلون، قليل التصديق لما يرويه المفسرون حول آيات القرآن من أخبار، وهو يخضع الحديث ومرويات المفسرين لمقاييس العقل، وينبذ منها ما لا يسيغه، وهذا الإيمان المطلق بسلطان العقل – إلا فيما يتعلق بالقرآن – قد أخرجه في بعض الأحيان عن حد الاعتدال، من ذلك تحديده للإجماع بمعنى خاص(١). والتطاول بالنقد لبعض ما صح نقله عن الصحابة(٢).

وقد تعرض النظام – نتيجة لهذه الجرأة العقلية على نقد النقليات – إلى غير قليل من النقد، سواء من معاصريه أو من اللاحقين، حتى بلغ المر ببعضهم إلى التشكيك في معتقده، بينما نجد بعضهم يشهد له بالصلاح والتقوى وينبري للدفاع عنه، ويؤكد أنه كان من الذائدين عن حياض الإسلام.

وقد تعقب ابن قتيبة(٣) وعبد القاهر(٤) البغدادي، رؤوس المعتزلة – ومن بينهم النظام – ورموهم بكل نقيصة، لأن الخصومة بينهم شديدة، وذكر البغدادي كيف دخل الفساد إلى عقيدة النظام وعزا ذلك إلى مخالطته للزنادقة والفلاسفة وغيرهم.

كما ذكر إنكاره لما روي من معجزات النبي ﷺ المادية، وأنه كان يستثقل أحكام الشريعة في فروعها وإن لم يتجاسر على إظهار رفعها، فعمد إلى إبطال الطرق الدالة عليها، فأنكر حجية الإجماع، وحجية القياس في الفروع الشرعية،

---

(١) انظر: الانتصار للخياط ص ٥١.
(٢) شرح منهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٢ ص ٤٨. وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٨ ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
(٣) الانتصار للخياط ص ٤٢.
(٤) تأويل مختلف الحديث ص ١٥.

وأنكر الحجة من الأخبار التي لا توجب العلم الضروري، وطعن في فتاوى أعلام الصحابة، وجوز إجماع الأمة - في كل عصر - على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال، والبغدادي في هذا جميعه يساير ابن قتيبة فيما نسبه للنظام.

ومهما يكن من أمر فإن النظام كان ذا ثقافة واسعة، يمثل لها معالجته الكثير من الأنواع الأدبية، وثقافة دينية شاملة يمثل لها معرفته الدقيقة بالتفسير والفقه وأصوله وتخريج الأحكام.

وقد سخر النظام إمكاناته للدفاع عن القرآن الكريم، وتفنيد مزاعم الملحدين التي كانت تشيع لعصره في بيئة العراق[١].

ولعل أهم ما يعنينا من نتاج النظام في بحثنا ما تعلق بالجانب البياني من الدرس القرآني، وقد كان للنظام تصوره الخاص في بيان وجوه الإعجاز كما أن له سبقاً فيه وريادة لا تنكر، وهو يرد الإعجاز في القرآن إلى أربعة وجوه: ما فيه من الإخبار عن الغيب بما لا قدرة للبشر عليه.

ما فيه من الإنباء عن المستقبل مما لا يعلمه إلا منزله، ما فيه من الكشف عما يختلج في صدور الناس وما يتردد في نفوسهم، الصرفة[٢]، وما يتبع ذلك

---

(١) انظر: كتاب الحيوان للجاحظ ص١ - ٣١.

(٢) الصرفه: هي: صرف الله العرب عن معارضة القرآن على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية، وضربوا لذلك مثلاً فقالوا: إن الإنسان كثيراً ما يترك عملاً هو من جنس أفعاله الاختيارية وما يقع مثله في دائرة كسبه وقدرته، إما لأن البواعث على هذا العمل لم تتوافر، وإما لأن الكسل أو الصدود أصابة فأقعد همته وثبط عزيمته، وإما لأن حادثاً مفاجئاً لا قبل له به قد اعترضه فعطل آلاته ووسائله وعاق قدرته قهراً عنه، على رغم انبعاث همته نحوه وتوجه إرادته إليه. فكذلك انصراف العرب عن معارضتهم للقرآن، لم ينشأ من أن القرآن بلغ في بلاغته حد الإعجاز الذي لا تسموا إليه قدرة البشر عادة، بل لواحد من ثلاثة:
أولها: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.
ثانيها: أن صارفاً إلٰهياً زهدهم في المعارضة، فلم تتعلق بها إرادتهم، ولم تنبعث إليها عزائمهم، فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي.
ثالثها: أن عارضاً مفاجئاً عطل مواهبهم البيانية، وعاق قدرتهم البلاغية، وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها.

من القول بإمكان الاتيان بمثله من حيث التأليف والنظم[1] والأسلوب والوجه الأخير أخطر ما يمكن أن يوجه إليه النقد فيه، لأنه من الاعتقادات الفاسدة، وكان أول ناقد له فيه تلميذه الجاحظ. ومن المهم جداً أن نذكر هنا أن القرآن الكريم تحدى فصحاء العرب بمعارضته، وطاولهم في المعارضة، ولكنهم انهزموا أمام تحديه، وأعلنوا عجزهم عن تقليده، لأنه يعلو وما يُعلى، وما هو بقول بشر.

ولقد كان الإعجاز القرآني خليقاً أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية، يتصدى بها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير والتعبير.

وبذل العلماء جهوداً مشكورة، وقاموا بمحاولات، لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال، ولكنهم وقفوا غالباً عند النص الواحد، فاقتطعوه اقتطاعاً من الوحدة القرآنية الكبرى، ودرسوه على حدة دراسة تحليلية جزئية ذهب بمعالم جمالها خلافهم الذي لا يتناهى حول مشكلة اللفظ والمعنى، فكانت النزعة الكلامية تفسد عليهم تذوقهم للنصوص، وإدراكهم مواطن البلاغة والإعجاز.

ولعل الجاحظ[2] أول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في

= التوجه أو نحوه يعزى القول بالصرفة إلى أبي إسحاق الإسفراييني من أهل السنة، والنظام المعتزلة، والمرتضى من الشيعة وهذا القول بفروضه التي افترضوها، أو بشبهاته التي تخيلوها، لايثبت أمام البحث ولا يتفق والواقع. انظر: الرد مفصلاً في مناهل العرفان للزرقاني ج١ ص ٣١١ وما بعدها.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٢٢٥، والمنية والأمل للشريف المرتضى ص ٢٩.

(٢) هو: أبو عثمان عمرو بن محجوب الكناني المعروف بالجاحظ، ولد بالبصرة حوالي عام ١٥٩ من الهجرة، نشأ بها، وتتلمذ لأعلامها في اللغة والأدب أمثال: أبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، والأخفش، وأخذ علم الكلام عن النظام، وكان من رواد مربد البصرة، كما أولع بالقراءة حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للاطلاع، وقد وفرت له حياته الطويلة تحصيلاً وافراً، فكان واسع المعرفة متنوع الثقافة، إذ عاش قرابة ستة وتسعين عاماً، فكانت وفاته عام خمسة وخمسين ومائتين. ويخالف الجاحظ أستاذه فيما ذهب إليه من القول بالصرفة، وما يستتبع ذلك من تصور إمكان الإتيان بمثل القرآن الكريم في نظمه لولاها، لذا نجده يدفع هذا القول ويرده رداً عنيفاً، ويفرد لذلك تصنيفاً يخصصه للدفاع عن بلاغة القرآن ويدحض فيه أراء النظام في هذه =

كتابة "نظم القرآن" ولم يصل إلينا هذا الكتاب، غير أن كثيراً من المصادر والمراجع أشارت إليه، وبينت مقاصده وحددت طريقة معالجته لنظم القرآن فيه[1]، كما أن الجاحظ نفسه يشير إليه عند حديثه عن الإيجاز في كتابه "الحيوان"[2] بقوله: ولي كتاب جمعت فيه آيات القرآن - يبدو أنه يقصد اختياراته للتمثيل البلاغي - لتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع بين المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، فمنها قول الله تعالى حين وصف خمر أهل الجنة ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة/١٩) وهاتان الكلمتان قد جمعتا عيوب خمر أهل الدنيا[3]. وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (سورة الواقعة:٣٣) حيث جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني، وهذا قليل من كثير قد دللتك عليه فإن أردته فهو مشهور.

ومن وقفات الجاحظ البلاغية عند التعبير القرآني: حديثه عن الإلف التعبيري، فمثلاً التعبير بأصبح وغدا، لا يوخذ المعنى فيه على ظاهره، وإنما يجري الأمر فيه على الإلف: وأما قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾[4] فلم يكن به على جهة الإخبار أنه كان قتله ليلاً، وإنما هو كقوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[5] ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام من عادات الناس، كان من فر من الزحف ليلاً لم يلزمه وعيد. وإنما وقع الكلام على ما عليه الأغلب من ساعات أعمال الناس، وذلك هو النهار دون الليل..

= الدعوى، ويثبت عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن. انظر: الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري لآدم ميتز ج١ ص ٣٢٤، ومروج الذهب ج٤ ص ١٥٩.

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي ج٢ ص ١٣، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ٣١.

(٢) كتاب الحيوان ج٢ ص ٣٠.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٧، وتاريخ آداب العرب للرافعي (١٥٢/٢).

(٤) سورة المائدة: الآية ٣١.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١٦.

وهذا - أيضاً - كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(١) ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس لكان إذا قال من أول الليل: إني فاعل ذلك في السحر، أو مع الفجر أو قال الغداة: إني فاعل يومي كله، وليلتي كلها، لم يكن عليه حنث ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنى، وكان، إذاً - لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه اسم غد. فأما كل ما خالف ذلك في اللفظ فلا.

وليس التأويل كذلك؛ لأنه جل وعلا إنما ألزم عبده أن يقول إن شاء الله، ليتقي عادة التألي، ولئلا يكون كلامه ولفظه يشبه المستبد والمستغني، وعلى أن يكون عند ذلك ذاكراً لله، لأنه عبد مدبر، ومقلب ميسر، ومصرف مسخر، وإذا كان المعنى فيه والغاية التي جرى إليها اللفظ إنما هو علي وصفنا، فليس بين أن يقول: أفعل ذلك بعد طرفة، وبين أن يقول: أفعل ذلك بعد سنة فرق.

وأما قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾(٢) فليس أنه كان هنالك ناس قتلوا إخوتهم وندموا فصار هذا القاتل واحداً منهم، وإنما ذلك على قوله لآدم وحواء عليهما السلام: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣) على معنى أن كل من صنع صنيعكما فهو ظالم(٤).

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٣، وفي هذه الآية إرشاد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل، علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، لو كان كيف كان يكون، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، وفي رواية تسعين امرأة، وفي رواية مائة امرأة، تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقيل له وفي رواية: فقال له الملك: قل: إن شاء الله. فلم يقل. فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان. فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو قال: "إن شاء الله" لم يحنث، وكان دركاً لحاجته) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٢٤٢)، وصحيح مسلم برقم (١٦٥٤)، وانظر: تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٤٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٤) الحيوان الجاحظ: ج٣، ص ٤١٢. وانظر: مناهج في التفسير ص ٢٥٤.

ويظهر لي أن هذا الجدل إنما أثاره تسليط المنطق العقلي على التعبيرات القرآنية، والجاحظ – هنا – يحدد موقفه في أن التعبير يجري مع قواعد الإلف، وليس حسب قواعد المنطق العقلي الجاف.

ويحدث الجاحظ عن الإلف التعبيري في القرآن، سواء في تخيره لألفاظ بعينها أو معان تتلازم. وفي هذا الصدد يسوق الجاحظ هذه الرواية: (حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال: قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقران، وأكثرها له موافقة، فضعوا القران بعد هذا حيث شئتم. أنتم تسمعون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول: قدر ونجمعها على قدور، وقال الله عز وجل: (وجفان كالجوابي وقدور راسيات)[١] وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليّة، وتجمعون هذا الاسم على علالي، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[٢] وقال: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[٣] وأنتم تسمون الطلع الكافور والإغريض، ونحن نسميه الطلع. وقال الله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾[٤] فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذه[٥]. فمضمون النص أن القران يتخير ألفاظ بعينها و،هناك غيرها يرادفها، فالقدر هي: البرمة، والعلية هي: الغرفة، والكافور أو الاغريض هو الطلع..... ولكن

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣، ومعنى الجوابي: الحياض. جمع جابيه، قال الشاعر:

على آل المحلّق جفنةٌ   كجابية الشيخ العراقيِّ تفهق

وقدور راسيات: ثوابت في أماكنها، تترك – لعظمها – ولا تنقل. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٥٤، ولسان العرب (١٨/ ١٤٠)، والطبري (٢٢/ ٤٩)، والبحر ج٧ ص ٢٥٥.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٠.

(٣) سورة سبأ الآية ٣٧.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٤٨، (طلعها هضيم) والهضيم: الطلع قبل أن تنشق عنه القشور وتنفتح. يريد أنه منضم مكتنز. انظر: غريب القرآن ص ٣١٩.

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ج١ ص ١٨ – ١٩.

القران يستخدم منها: القدر، والغرفة، والطلع... كما يتعرض الجاحظ لكثير من الصور البلاغية في القران الكريم ويستخرج أمثلتها، مستدلا على ما ذهب إليه بكثير من الشواهد القرآنية[١].

والجاحظ باتجاهه الأدبي والبلاغي في معالجة النظم القرآني يعتبر من الرواد في هذا المقام، فإن كل من جاء بعده أفاد من كتاباته وعول على كثير من آرائه، وإن اختلفت مذاهبهم وتباينت مناهجهم.

يأتي بعد الجاحظ ابن قتيبة[٢] الذي درس التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والكلام، وكان تأثره في الجانب البلاغي بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[٣].

وابن قتيبه من أصحاب الثقافة المتنوعة، يظهر هذا فيما صنف من كتب بلغت عدتها – فيما يقول أبو العلاء المعري – خمسة وستين مصنفا، نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – كتاب الصيام

٢ – كتاب غريب الحديث

---

(١) انظر: كتاب الحيوان للجاحظ ج٤ ص ٩، ومجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي ص ١٥٦، وكتاب الكامل للمبرد (هامش)، وهي فصول مختارة من كتب الجاحظ ط. مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة، عام ١٣٣٤ هـ.

(٢) ابن قتيبة: من أسرة فارسية، كانت تقطن مدينة (مرو) ولسنا نعرف عن نسبه أكثر من أنه: "عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي" وقد ولد في سنة ٢١٣هـ، في أواخر خلافة المأمون، وقد اختلف المؤرخون له في تعيين المدينة التي ولد بها، فقال السمعاني وغيره: إنه ولد ببغداد، وقال ابن النديم، وابن الأنباري وابن الأثير: إنه ولد بالكوفة. وقد اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التي كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء في كل فن، وتهوى إليها أفئدة المثقفين والمتعلمين من كل أنحاء الدولة الإسلامية، وتوفي ابن قتيبة عام ستة وسبعين ومائتين من الهجرة على خلاف بين المؤرخين في تحديد سنة وفاته. انظر طبقات المفسرين للداودي (١/٢٤٥) والفهرست ص ١٢١.

(٣) انظر: ضحى الإسلام لأحمد أمين ج١ ص ٤٠٢.

٣ - إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد: استدرك ابن قتيبة فيه على أبي عبيد في نيف وخمسين موضعا، وهذا الكتاب - فيما أرى - من أهم كتب ابن قتيبة و أعظمها أثرا في تاريخه، فقد تعاظم كثير من العلماء - في عصره وبعد عصره - أن يعرض مثله بالنقد لأبي عبيد. وترجع قيمته كذلك، إلى أنه من بواكير كتب النقد العلمي.

٤ - تفسير غريب القرآن: وهو - في حقيقة أمره - متمم لمشكل القرآن. وقد قال ابن قتيبة في المشكل ص ٢٥: "وأفردت للغريب كتابا، كيلا يطول هذا الكتاب" وقد شغل ابن قتيبة بما صنف الكثير من تفكير العلماء، وشهد له من القرناء بالتفوق من شهد، وحط من قدره منهم من حط، وكانت لكل دوافعه فيما يصدر من رأي، ولكنه ظل علما يستضاء بمعارفه إلى يومنا. ولعل أهم تصانيف ابن قتيبة في هذا المقام كتابه "تأويل مشكل القرآن" إذ يندرج هذا المؤلف تحت ما يسمى بكتب التفسير اللغوي، وقد كان دافعه لتصنيف هذا الأثر هو الدفاع عن القرآن، وهذا ما بينه بقوله: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا " ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾(١) بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله؛ ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحديث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور.. فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب، جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير، بزيادة في الشرح والإيضاح(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٧٧ لابن قتيبة، بتحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م دار التراث بالقاهرة.

وقبل أن يتصدى ابن قيتبة لأقوال من صنف كتابه للرد عليهم، يحدد ما يجب أن يتوفر لمتناول كتاب الله تعالى من أمور تعينه على فهمه وإدراك مراميه[(١)].

ذلك، لأنه يرد ما وقع فيه هؤلاء الطاعنون من خطأ إلى قصور أفهامهم، نتيجة لعدم توفر الأداة التي تعين على الإدراك، لأن هذا الإدراك لا يتأتى إلا لمن كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم، أمة أوتيت من العارضة والبيان، واتساع المجال ما أوتيتة العرب.." ثم ذكر حال العرب في مباني ألفاظها وإعرابها وألوان فروقها بين معاني الألفاظ، وما كان لها من شعر، ودور هذا الشعر بحياتها، فيقول: الذي أقامه الله تعالى لها مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا، ولآدابها حافظا ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الأزمان[(٢)].

ثم يعرض للصور البلاغية عندهم فيقول: وللعرب المجازات في الكلام، ومعناه: طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعني الخصوص...[(٣)].

ثم يقول ابن قتيبة: وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم، على أن ينقله إلى شئ من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب. ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[(٤)] لم

---

(١) انظر: مقدمة تأويل مشكل القرآن من ص ١١ فما بعدها.
(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٧٨.
(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٧٩.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته، حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد – فخفت منهم خيانة ونقضاً – فاعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذانهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[(١)] إن أردت أن تنقله بلفظها لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أنمناهم سنين عدداً لكنت مترجماً للمعنى دون اللفظ[(٢)].

ويظهر لي – والله أعلم – أن كلام ابن قتيبة في مسألة ترجمة القرآن هو القول الفصل الذي يجب التمسك به، وعدم العدول عنه.

وقد بدأ ابن قتيبة كتابه بإيراد بعض المطاعن التي وجهت إلى آيات القرآن الكريم، ثم انبرى للرد عليها مبتدئاً بالطاعنين في وجوه القراءات وما ادعوا من وجوه اللحن في القرآن، وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آياته، ثم ثنى بما قالوه في المتشابه، وعن هذا الأخير يقول في معرض التعريف به:

" وأصل التشابه أن يشبه اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان.. ومنه يقال: اشتبه عليَّ الأمر إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما، وشبهت علي إذا لبست الحق بالباطل..، ثم قد يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره.. ومثل المتشابه المشكل، وسمي مشكلاً لأنه أشكل، أي دخل في شكله غيره، وقد بينت ما غمض من معناه لالتباسه بغيره، واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه، وتفسير المشكل الذي ادعى على القرآن الكريم فساد النظم فيه[(٣)].

ثم يتبع ذلك بذكر أبواب المجاز، لأنه يرى أن أكثر غلط المتأولين كان من جهته، وبسببه تشعبت الطرق، واختلفت النحل، وهو يلتزم في هذا طريقة

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١.

(٢) انظر: مزيداً من الأمثلة في تأويل مشكل القرآن ص ٧٩.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ١٠١ – ١٠٢.

واضحة محددة، فيورد ما جاء في المجاز في كتاب الله تعالى، ثم يتبعه بنظائره مما جاء في الشعر ولغات العرب، وما استعمله الناس في كلامهم.

وفي هذا يقول: وتأول قوم في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1] معنى التناسخ، ولم يرد الله تعالى في هذا الخطاب إنساناً بعينه، وإنما خاطب به جميع الناس، كما قال جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[2]، وكما يقول القائل: يا أيها الرجل، كلكم هذا الرجل، فأراد أنه صورهم وعدلهم، في أي صورة ما شاء ركبهم، من: حسن وقبح، وبياض وسواد، وأدمة، وحمرة، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾[3]، ومنه قوله تعالى للسماء والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[4] ولم يقل الله ولم تقولا: وكيف يخاطب معدوماً ؟ وإنما هذا عبارة لكونهما فكانتا، قال الشاعر حكاية عن ناقته[5]:

تــقــول إذا درأت لــهــا وضــيــنــي أهــذا ديــنــه أبــداً وديــنــي ؟

أكــل الــدهــر حــل وارتــحــال ؟ أمــا يــبــقــى عــلــيَّ ولا يــقــيــنــي ؟

وهي لم تقل شيئاً من هذا، ولكنه رآها في حال من الجهد والكلال فقضي عليها بأنها لو كانت مما تقول لقالت مثل الذي ذكر؛ وكقول الآخر[6]:

شكا إليَّ جملي طول السرى.

والجمل لم يشك، ولكنه أخبر عن كثرة أسفاره وإتعابه لجمله، وقضى على الجمل بأنه لو كان متلكماً لاشتكى ما به، إلى غير ذلك من الأمثلة[7].

---

(١) سورة الانفطار: الآية ٨.
(٢) سورة الانشقاق: الآية ٦.
(٣) سورة الروم: الآية ٢٢.. وانظر تأويل مشكل القرآن، ص ١٠٠٥ فما بعدها
(٤) سورة فصلت: الآية ١١.
(٥) هو المثقب العبدي من قصيدة له في المفضليات، ص ٢٩٢.
(٦) انظر: أمالي المرتضى ج١ ص ٧٢.
(٧) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ١٠٦ – ١٠٨.

وقد استهل ابن قتيبة تقسيمه في المعالجة البلاغية بباب الاستعارة، وثنى بالمقلوب، واتبعه بباب الحذف والاختصار، ثم بباب تكرار الكلام والزيادة فيه، ثم بباب الكناية والتعريض. ثم بباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، وأعقب هذا بأهم أبواب الكتاب جميعاً وهو باب تأويل الحروف التي ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، حيث تحدث عن: الحروف المقطعة واختلاف المفسرين فيها، ثم خلص من ذلك إلى الكلام المشكل، وفيه يذكر ما في السورة منه ثم يؤوله، يلي هذا ما يفرده لمعالجة ما سماه: اللفظ الواحد للمعاني المختلفة " وهو باب يتحدث فيه عن الألفاظ التي وردت في القرآن متحدة المباني، مختلفة المعاني، ويعقبه باب أسماه "تفسير حروف المعاني وما شاكلها من الأفعال التي لا تنصرف" مثل: أين، وأني، ولولا، ولوما، ولا جرم، وتعال، وهلم، ورويدا، ولدن، ثم يختم بباب عن "دخول بعض حروف الصفات مكان بعض"[(1)].

وخلاصة القول: فإن "تأويل مشكل القرآن" يعتبر من جملة الكتب التي عالجت التفسير البياني وإن اختلفت دوافع مصنفيها، فإنها تهدف إلى غاية واحدة، هي الإبانة عن الجانب البلاغي في القرآن الكريم، ووجوه الإعجاز فيه في ضوء الاستخدام الصحيح لأصحاب اللغة التي نزل بها، وقد اتسعت طاقاتها حتى أعجزت كل من أراد الإحاطة بها عن بلوغ ما يروم، ومما لا شك فيه: أن ابن قتيبة قد استفاد من جهود من سبقوه في هذا الميدان – وإن لم يشر إلى هذا صراحة – كما فعل في مقدمته من إغفال من استفاد من جهودهم من المفسرين.

ولا يفهم من هذا أن كتاب " تأويل مشكل القرآن " لم يضف جديداً إلى هذا اللون من الدرس، بل إن فيه من النظرات ما يعتبر جديداً لم يطرق، جديراً بالعناية والبحث، كما أنه يمثل حلقة في تطور التفسير البياني بين الجاحظ –

---

(١) وهي حروف الجر لأنها تحدث صفة في الاسم الداخلة عليه، فقولك: جلست في الدار، دلت "في" على أن الدار وعاء للجلوس، وقيل: لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات. انظر: همع الهوامع للسيوطي ج٢ ص ١٩.

فيما حملته كتبه من درس لبعض جوانب الإعجاز البلاغي في النظم القرآني – وبين من أتى بعده: من أمثال الرماني والخطابي، والباقلاني وغيرهم، وإن اختلفت طرائق المعالجة واتسع مجالها، بازدياد العوامل المهيئة لهذا الاتساع، فضلاً عن أن ابن قتيبة يعتبر رائداً في مجال ترتيب أنواع المجاز في القرآن الكريم وتفصيل القول فيه.

ثم يأتي الرماني[١] ليضع بدوره لبنة في صرح التفسير اللغوي، تلقى الرماني المعرفة عن أعلام عصره أمثال الزجاج، وابن السراج، وابن دريد[٢]، وقد تنوعت ثقافته، فأتقن التفسير والقراءات والفقه والأدب والنحو، وله تصانيف فيها جميعاً[٣].

وكتابه في مجال التفسير اللغوي هو المعروف بـ (إعجاز القرآن) أو (النكت في إعجاز القرآن) وقد طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن[٤]. وفيه يرد إعجاز القرآن الكريم لعدة أمور، منها: ترك المعارضة مع توفر الداعي والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والإخبار عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، ويقصد بها انفراده بنسيج وحده في النظم والمطروق من كلام العرب، وإن سار على سنتهم في القول، ثم قياسه بكل معجزة، ويعرف هذا الوجه بأنه يظهر إعجازه من هذه الجهة، إذ خرج على العادة، فصد الخلق عن المعارضة[٥]. ويكاد

---

(١) هو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، ابو الحسن الرماني: باحث معتزلي، مفسر من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد، له نحو مائة مصنف، منها " الأكوان " و " المعلوم والمجهول " و " الأسماء والصفات " وكتاب " التفسير " و " شرح أصول ابن السراج " و " وشرح سيبويه " وغيرها من المؤلفات. انظر: ترجمته في بغية الوعاة، ص ٣٤٤، ووفيات الأعيان (١/ ٣٣١)، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٤٢، والعلام للزركلي ج٥ ص ١٣٤.

(٢) انظر طبقات المفسرين للداودي ج١ ص ٤٢٠.

(٣) انظر: أنباء الرواة على أنباء النحاة ج٢ ص ٢٩٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الكتب، القاهرة عام ١٩٥٠م، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٤٢٠).

(٤) بتحقيق الأستاذ محمد خلف الله أحمد، والدكتور زغلول سلام.

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٦٩.

ما أورده الرماني في هذا الوجه يكون ترداداً لما سبقه إليه غيره، إلا أنه يتخذ في معالجة الوجه البلاغي مساراً مختلفاً.

فقد قسم البلاغة إلى طبقات ثلاث: منها: ما هو أعلى طبقة، ومنها: ما هو أدنى طبقة، ومنها: ما هو في الوسائط بين العليا والدنيا، فما كان منها في أعلى طبقة فذلك المعجزة، وهو بلاغة لقرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس، وليست البلاغة عنده إفهام المعنى، فقد يفهم المعنى متكلمان: أحدهما بليغ والآخر عيي، ولا هي بتحقيق اللفظ على المعنى، فقد يحقق اللفظ المعنى وهو غث مستكره، ونافر متكلف، وإنما البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن[1].

ويتعرض بعد هذا للإيجاز والتمثيل له، فيعرفه بقوله: هو تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز، ثم يقسم الإيجاز قسمين:

الأول: إيجاز حذف، وهو ما اسقطت فيه كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام، ويمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[2]، ويعلق بقوله: كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنقيص والتكدير، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان[3].

الثاني: إيجاز قصر، وإن كان هذا القسم أغمض من الحذف للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها، والمواضع التي لا يصلح، ويستدل له بقول

---

(١) المصدر السابق ص ٧٠.
(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣.
(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٠.

الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1] فيقول: استحسن الناس من الإيجاز قولهم: " القتل أنفى للقتل " وبينه وبين قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ تفاوت في البلاغة والإيجاز، وذلك يظهر من أربعة وجوه:

(١) أنه أكثر فائدة، أما الكثرة في الفائدة فيه، ففيه كل ما في قولهم " القتل أنفى للقتل " وزيادة معان أحسن منها: إبانة العدل؛ لذكره القصاص، وإبانة الغرض المرغوب فيه؛ لذكره الحياة، والاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله تعالى.

(٢) أنه أوجز في العبارة ؛ وأما الإيجاز في العبارة فإن الذي هو نظير: "القتل أنفى للقتل" قوله تعالى: (القصاص حياة) والأول أربعة عشر حرفاً، والثاني عشرة أحرف.

(٣) أنه أبعد الكلفة بتكرير الجملة، وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة، فإن قولهم: " القتل أنفى للقتل " تكرار غيره أبلغ، ومتى كان التكرار كذلك فهو مقصر في باب البلاغة من أعلى طبقة.

(٤) أنه أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة، وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ، فإن الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة عن اللام، فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار لفظ القرآن أبلغ وأحسن، وإن كان الأول بليغاً حسناً.

ثم ينتقل إلى التشبيه فيعرفه ويقسمه[2] ويجعله مما تتفاضل به الأساليب، وتظهر به البلغاء، لأنه يخرج ما لا تقع عليه الحاسة – وهو الإيمان – إلى ما تقع عليه الحاسة – وهو السراب، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[3]، والجامع بين

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٨٠ فما بعدها.

(٣) سورة النور: الآية ٣٩.

المشبه والمشبه به بطلان التوهم بين شدة الحاجة وعظم الفاقة، ثم إخراج ما لم تجر به العادة، وهو بهجة الحياة الدنيا وزينتها – إلى ما جرت به العادة – وهو نزول المطر، واخضرار الأرض وزينتها، وظن أهلها الواهمون أنهم قادرون عليها ؛ كما في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾[1].

والجامع هنا هو حصول البهجة والزينة، وبلوغها الغاية، ثم الهلاك المفاجيء ثم إخراج ما لا يعلم بالبديهة – وهو عرض الجنة – إلى ما لا يعلم بالبديهة – وهو عرض السماوات والأرض – كما في قوله تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾.

ثم عرض بعد ذلك للاستعارة وقسمها، واستدل لها بنفس الطريقة، فبين أسباب جمال الاستعارة في القرآن الكريم، ورده إلى حسن التصوير، ووضوح المعنى، وإيجاز الأداء، واختيار الألفاظ، وحسن تركيبها، ومراعاة حسن تشبيهها الذي بنيت عليه.

وخلاصة القول: إن الرماني كان صاحب لغة وبيان، وإن كان مذاق البيان فيما تعرض له من آيات الكتاب أغلب، وتخريجاته لوجوهه تدل على حدة ذهن، وقوة بصر، ودقة إدراك، وقدرة على اختيار المثل، وتصوير الجوانب البلاغية الإعجازية في آيات النص، والتدليل على هذه المواطن بأوضح عبارة وأيسرها، هذا إذا نظرنا إلى الجانب التطبيقي، أما الجانب التنظيري فإن ما أورده فيه لا يخرج عما نكره السابقون عليه.

أما ابو سليمان أحمد بن محمد إبراهيم الخطابي فيدخل في عداد المفسرين من أهل اللغة والبيان، وهو من معاصري الرماني، اشتغل بالتفسير

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

واللغة والأدب والشعر والحديث، وهو سني المذهب، وكل لفظة من هذه الألفاظ تمثل لوناً في رسالته " بيان إعجاز القرآن " والخطابي صاحب رحلة في طلب العلم، تنقل خلالها بين البصرة وبغداد والحجاز، ثم عاد إلى خراسان فنيسابور واستقر في "بست" إلى أن وافته المنية عام ٣٨٦ من الهجرة على اختلاف بين المؤرخين لوفاته(١).

ويرجع السبب في تأليفه لرسالته "بيان إعجاز القرآن" إلى ما ثار حول القرآن من مطاعن لعصره، ورغبته في تفنيد هذه المطاعن مستعيناً في ذلك بآراء من سبقه إلى ذلك، أمثال أبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة، وما تهيأ له من مقدرة خاصة في هذا المجال، وقد كشف في رسالته هذه عن اختلاف من سبقوه في تحديد وجوه الإعجاز القرآني، ولفت إلى هذا الاختلاف بقوله: قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم ليصدروا عن رأي، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن الكريم، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته.

وقد تبين من خلال البحث أن الخطابي كانت له معرفة دقيقة وبصر نافذ بالتفسير، فإن تأويله لآيات القرآن الكريم يؤكد اتصاله القوي بعلم التفسير وبخاصة اللغوي منه ومعرفة دخائله(٢)، ونخرج من هذا بأن رسالة الخطابي في " بيان إعجاز القرآن " تدخله في عداد المفسرين من أهل اللغة والبيان، فضلاً عما أضافه في هذا المجال مما تفرد به وبرع فيه.

ثم يظهر في نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس القاضي أبو بكر ابن

---

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت ج١ ص ٧٦.

(٢) انظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ (سورة الأنفال/٥)، راجع: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٤٤، وتفسير القرطبي ج٦ ص ٤٥٠٧، والكشاف الزمخشري ج٢ ص ١٤٣. وانظر: تفسير الخطابي لقول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ (سورة الذاريات/٢٣)، وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ (سورة البقرة/١٥١) راجع: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٤٥.

الطيِّب ابن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، نشأ بالبصرة وأخذ العلم عن أعلامها لعصره، وتفوق حتى بز أقرانه، فشهد له القوم بالتقدم في العلم[1] وأهم ما كتبه في هذا الباب – على غزارة إنتاجه – كتاب " إعجاز القرآن " وبه اشتهر، وطبع أول مرة بمصر سنة ١٣١٥هـ. يقدم الباقلاني لكتابه بقوله: ولسنا نزعم أنه يمكننا ما رمنا بيانه، وأردنا شرحه وتفصيله لمن كان عن معرفة الآداب ذاهباً، وعن وجه اللسان غافلاً، إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه – ما قصدنا إليه – من أهل صناعة العرب، وقد وقف على جمل من محاسن الكلام وتصرفاته ومذهبه، وعرف جملة من طرق المتكلمين، ونظر في شيء من أصول الدين، وإنما ضمن الله عز وجل فيه – أي القرآن – لمثل من وصفناه[2] فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3].

ومعنى هذا: أن الباقلاني وضع مصنفه " إعجاز القرآن " لفئة معينة من الناس، اشترط أن تتوفر لأفرادها دراية بأمرين يمهدان لفهم المنهج الذي سار عليه في عرض قضية الإعجاز في القرآن الكريم:

أولهما: الاعتماد على العلوم اللسانية بمعناها الواسع ثم الأساليب البيانية وهما يمثلان الشطر الأول من منهج الباقلاني في المعالجة لموضوع الإعجاز.

وثانيهما: معرفة أسلوب المتكلمين في الجدل وما عرضوا له من قضايا الاعتماد وغيرها، وهذا يمثل القسم الثاني من منهجه الذي سار عليه[4].

فهو يرى أن صور البيان المعجزة في القرآن الكريم لا تنكشف إلا في ضوء الدراية الكاملة بهذين الجانبين اللذين كان عليهما مدار البحث في الإعجاز القرآني لعصره وما قبل عصره، ذلك أن من كان يخوض في هذا المجال هو

---

(١) انظر معجم الأدباء ج٢ ص ٢٧٣.
(٢) انظر إعجاز القرآن للباقلاني بهامش الجزء الأول من الإتقان ص ٨.
(٣) سورة فصلت: الآية ٣.
(٤) انظر مقدمة إعجاز القرآن ج١ ص ٣ – ٥.

واحد من اثنين: إما لغوي بلاغي، وإما متكلم مشتغل بأمور علم التوحيد، أو جامع بين الاثنين[١].

وفصول كتاب الباقلاني تدور حول عدة أمور، منها: ما ينصرف إلى الناحية التنظيرية مما عرض له السابقون، مثل تكرار التحدي بالقرآن الكريم، وإقرارا البلغاء بالعجز مع توفر الداعية، وأنه معجزة النبي ﷺ الخالدة، وأن من صور هذا الإعجاز – أيضاً – ما تضمنه من الإخبار عن الأمور المستقبلية، ثم ما جاء به من أنباء الغابرين مع المعلوم من أمية صاحب الدعوة صلوات الله وسلامه عليه، ومنها ما ينصرف إلى عجيب نظمه، وفريد أسلوبه، وبلاغته التي تقاصرت عنها قدرة البشر، وهذا يسوق الباقلاني إلى نفي الشعر والسجع عن القرآن، وإن ذكر أنه لا يخلو من سجعات، والتعرض إلى مراتب الكلام، واختلاف الناس في هذه المراتب. وقد طرح الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن " كثيراً من القضايا اللغوية والبلاغية، ومع ذلك نجده يعلن أن ما ذكره من البيان في إعجاز القرآن ما هو إلا وجيز من القول، وأنه خشي إذا بسط فيه أن يطيل فيصيب القارئ بالملالة.

وليس من شك أن ما كتبه الباقلاني في هذا الموضوع وجعله مادة لمصنفه يعتبر صفوة المنهج الأدبي والكلامي في تناول الإعجاز، وقد أضاف إليه ما واتته به قريحته من جديد يتمثل فيما وضع من حدود عرف به الكلام المعجز وصوره، والتقسيمات التي تبين وجوه بلاغة القول، فضلاً عن أنه مهد بعمله هذا لعبد القاهر الطريق ليبحث في الخصائص الذاتية – كتركيب الأسلوب القرآني – تلك التي انتهت به إلى نظرية النظم.

لا يتطرق باحث إلى الدرس البلاغي إلا ويقف عند عبد القاهر الجرجاني[٢] وقفة طويلة مستأنية، فقد ورث الرجل البلاغيين بحوثاً في هذا

---

(١) المصدر السابق ص ٧ – ٨. وانظر: ج١ ص ٦٠ – ٦١.

(٢) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل في النحو، والتتمة، والمغني في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءاً، اختصره في شرح آخر سماه "المقتصد"، وإعجاز القرآن، والعمدة في تصريف الأفعال إلى غير ذلك من المؤلفات. انظر ترجمته في: فوات الوفيات (١/٢٩٧)، ومفتاح السعادة (١/ ١٤٣)، وبغية الوعاة (٣١٠)، وآداب اللغة (٣/ ٤٤)، وطبقات الشافعية (٣/٢٤٢).

المضمار هي من غرر نتاج عصره، وظل درس ما كتب يمثل الأصالة في ميدان الدراسات البلاغية،، فضلاً عما كان له من ريادة في الدرس المنظم للخصائص الذاتية لتركيب الأسلوب القرآني.

وثقف الجرجاني نفسه بنفسه، فانكب على الكتب العلمية المتداولة لعصره، فقرأ في اللغة والنحو والبيان لسبويه، وأبي علي الفارسي، والزجاج،، وفي الأدب والبلاغة والنقد لابن قتيبة الدينوري، وقدامة بن جعفر، والآمدي، والقاضي عبد العزيز الجرجاني، وأبي هلال العسكري[١]. ولعل أهم مصنفاته فيما يرتبط بهذا البحث - هما كتاباه "دلائل الإعجاز" و "الرسالة الشافعية في الإعجاز" فكلاهما يتناول الإطار البلاغي للعبارة القرآنية في محاولة للكشف عن سر إعجازها، ومن أبرز ما انتهت إليه هذه المعالجة: نظرية النظم، وفيها يرى الجرجاني أن الروابط البينية للتراكيب اللفظية تلعب دوراً بالغ الأهمية في إعجازها.

كما يربط بين الإعجاز وبين ترتيب العبارة، بما يجعل للنحو الممتزج بالمعاني دوره في إبراز هذا الإزعاج، من ذلك: أن عبد القاهر اهتدى في العلوم اللغوية إلى مذهب يشهد لصاحبه بالعبقرية، وعلى أساس من هذا المذهب كون مبادئه في إدراك الإعجاز القرآني..، فقد فطن إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات[٢].

يرى عبد القاهر الجرجاني أن تقويم النص يرجع في جملته إلى طريقة نظم الكلام، فيقول: وإذا عرفت أن مدار النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، وشأنها ألا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها نفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب

---

(١) انظر: بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٩٠، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٣ ص ٣٤٠، ودمية القصر وعصرة أهل العصر ص ١٥٨ لعلي بن الحسن الباخرزي.

(٢) الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٢٨٧ فما بعدها. وانظر: النقد المنهجي (٣٣٣).

المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم يحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض[١].

فمنهج عبد القاهر يقوم على فلسفة لغوية ترى في اللغة مجموعة من العلاقات. لذا يرى: أن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب[٢] فالأساس هو النحو على أن يشمل النحو علم المعاني، وأن يعدو الصحة اللغوية إلى الجودة الفنية، وفي النهاية تحكيم الذوق فيما تحيط به المعرفة، ولا تؤديه الصفة من إحساس بجمال لفظ في موضع خاص، أو فطنة إلى قوة رابطة، أو أداة في جملة أو بيت شعر دون غيرهما[٣].

وخلاصة القول: إن عبد القاهر الجرجاني حين عالج أمر الإعجاز في القرآن الكريم فقد استخدم منهجاً بلاغياً أدبياً ابتناه على نظرية النظم التي ترى أن اللغة عبارة عن علائق تجمع بين المعاني قبل أن تكون ألفاظاً لها دلالات وضعية، وأنه بقدر الدقة في تحقيق ترتيب التركيب بهذه الصورة تعلو مزية الكلام على غيره، ويجوز التفوق على ما عداه، وعبارة القرآن الكريم أدق العبارات التزاماً بهذا الترتيب، ومن هنا كان إعجازه،،، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز ص ٦١ فما بعدها.
(٢) أسرار البلاغة ص ٢.
(٣) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٣٩ د. محمد مندور.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج التالية:

١ - أجدر الصحابة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -، الذي شهد له رسول الله ﷺ بالعلم، ودعا له بقوله: " اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل ".

٢ - لم يبق عند منتصف القرن الأول من الهجرة، ومن بين الصحابة وغيرهم إلا مذعن لابن عباس، مسلم له مقدرته الموفقة، وموهبته العجيبة، وعلمه الواسع في تفسير القرآن الكريم.

٣ - اتصل تفسير القرآن عند ابن عباس بعناصر كونت منهجه في التفسير وهذه العناصر هي معرفته بأسباب النزول، وعنصر مبهم القرآن، كما استخدم اللغة في فهم معنى المفرد أو فهم سر التركيب، ويتخذ مادة لذلك من الشعر الجاهلي، فكان كثيراً ما يقول عندما يسأل عن معنى من تراكيب القرآن فيقرره: أما سمعتم الشاعر يقول كذا، وينشد البيت، كما أثبت ذلك ابن سعد في الطبقات. وقد اشتهر ابن عباس - رضي الله عنهما - برجوعه إلى الشعر والاستشهاد به لغريب القرآن خاصة، وقد امتد به العمر إلى زمن قل فيه الذين أدركوا الوحي، وضعفت السليقة، واختلط العرب بأقوام العجم.

٤ - أضاف ابن عباس إلى تفسير القرآن عنصر الأخبار التي لم تجيء في حديث النبي ﷺ، مما يرجع إلى بيان مبهمات القرآن: وذلك ما كان يرجع فيه إلى مصادر المعرفة المتوفرة لديهم - يومئذ - من التاريخ العام وأخبار الأمم، لا سيما الأمتين الكتابيتين: اليهود والنصارى، وأخبار العرب في الجاهلية.

٥ - كانت ثقافة ابن عباس الأدبية هذه أكبر معوان له على المعالجات اللغوية التي عالج بها لغة القرآن، فهو يفطن للمعنى المقصود من اللفظة المتضادة، مثل (بلاء)، وفي الآية: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (البقرة:٤٩١) قال:

نعمة. وهو يقتضي معنى لفظه بعينها في القرآن كله. وهو بهذه الثقافة اللغوية استطاع أن يعرض للفظ الغريب في القرآن كله بالشرح والتفسير. يقول السيوطي في ابن عباس: ورد عنه ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة.. وهو وإن لم يستوعب غريب القرآن فقد أتى على جملة صالحة منه.

٦ - الاتجاهات اللغوية والبلاغية في تفسير القرآن تعتبر امتداداً لمنهج ابن عباس - رضي الله عنهما - لأنه أول من خطى بالتفسير من دائرة المأثورات وحدها إلى دائرة الاستعانة بلسان العرب فيما لم تتعرض له المأثورات، فقد كان ابن عباس ومن تتلمذ عليه من أعلام مدرسة مكة: كمجاهد بن جبر، وعكرمة مولاه، وسعيد بن جبير، هم الممثلون الحقيقيون لهذا الاتجاه خلال القرن الأول.

٧ - فشت طريقة العناية بالعنصر اللغوي إلى جانب المأثورات - بعد أن انضافت إليها بعض المعالجات البلاغية التي أخذت دائرتها تتسع شيئاً فشيئاً حتى غلبت على العنصر اللغوي وإن لم تهمله في كثير من كتب التفسير التي كانت تعرف في هذا القرآن بكتب (معاني القرآن)، وهي لا تخرج - في حقيقة أمرها - عن كونها كتب تفسير تعتمد في المرتبة الأولى على اللغة في تفسير عبارة القرآن الكريم.

٨ - قول ابن عباس مقدم على قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير، فابن عباس كان أمة وحده في العلم والحديث والفقه والتأويل والحساب والفرائض والعربية ومجالسه معروفه، وهو بحق ترجمان القرآن وحبر الأمة.

٩ - أصح أسانيد ابن عباس في الحديث ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، وأضعفها ما يرويه (محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وهذه تسمى (سلسلة الكذب) أفاد ذلك الإمام النسائي (رحمه الله تعالى).

١٠- أوهى طرقه في التفسير هي - بالدرجة الأولى - سلسلة الكذب التي تقدم الحديث عنها ثم بالدرجة الثانية طريق الضحاك بن مزاحم، وهي منقطعة، لأنه لم ير ابن عباس.

١١- أمَّا طرقه الجيدة في التفسير فهي:

أولاً: طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي، وقد اعتمد البخاري هذه الطريقة فيما يعلقه عن ابن عباس.

ثانياً: طريق قيس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عنه، وهذه الطريق على شرط الشيخين. وبها خرج الحاكم النيسابوري عدداً من الأحاديث في مستدركه.

ثالثاً: طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد ابن جبير، عنه، وبهذه الطريق أخرج ابن جرير الطبري كثيراً من الروايات في تفسيره.

هذا والله ولي التوفيق.

مراجع البحث

١ - القرآن الكريم

٢ - الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تقديم الأستاذ محمد شريف سكر، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ مكتبة المعارف

٣ - أثر المسلمين في الحضارة الغربية، أحمد على الملا، طبعة ثانية عام ١٤٠١هـ.

٤ - أخبار النحويين البصريين، للقاضي ابن سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم الخفاجي ط. القاهرة عام ١٣٧٤هـ - ١٩٩٥م

٥ - الأخبار الطوال، للدينوري، طبعة مصر عام ١٣٣٠هـ

٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير طبع بمصر عام ١٢٨٠هـ

٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر ط.١ عام ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة.

٨ - إعجاز القرآن، للباقلاني طبعة القاهرة السلفية.

٩ - إعجاز القرآن البيان بين النظرية والتطبيق، د. حنفي شرف، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، طبعة القاهرة عام ١٣٩٠هـ.

١٠ - الإعلام: خير الدين الزركلي، طبعة ثانية، بيروت.

١١ - الأغاني، لأبي الفرج الصفهاني طبع بمصر عام ١٩٤٨.

١٢ - أمالي المرتضى، للشريف علي بن الحسين العلوي أربعة أجزاء طبع بمصر عام ١٣٢٥هـ.

١٣ - الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) ط٢ عام ١٣٩٣هـ.

١٤ - إنباء الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٩٥٠م - ١٩٥٥م.

١٥ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق ط. بولاق، عام ١٣٠٩هـ.

١٦ - الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة ثالثة، عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م - مطبعة السعادة بمصر.

١٧ - البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ط. القاهرة عام ١٣٢٨هـ.

١٨ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ عام ١٣٩١هـ دار المعرفة بيروت.

١٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام السيوطي، طبعة القاهرة، عام ١٣٢٦هـ.

٢٠ - البيان والتبيين للجاحظ، طبعة مصر عام ١٣٦٧هـ - ١٣٦٩هـ.

٢١ - تاريخ آداب العرب للرافعي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٢٢ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، طبعة الخانجي بمصر عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

٢٣ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: حسين بن محمد الديار بكري، طبعة مصر.

٢٤ - تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥ - تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، طبعة عيسى الحلبي بمصر عام ١٣٧٣هـ.

٢٦ - تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) طبعة القاهرة عام ١٣٢١هـ.

٢٧ - تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، طبعة دار لشعب بمصر.

٢٨ - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٣٩٨هـ.

٢٩ - تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) طبعة القاهرة عام ١٣٢١هـ - ٨ مجلدات.

٣٠ - تفسير الكشاف للزمخشري، طبعة البهية عام ١٣٠٨هـ.

٣١ – تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، طبعة تونس عام ١٩٨٤م.

٣٢ – التفسير ورجاله، الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

٣٣ – التفسير والمفسرون، أد. محمد حسين الذهبي، طبعة القاهرة.

٣٤ – التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ زين الدين العراقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان طبعة دار الفكر – بيروت.

٣٥ – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والدكتور زغلول سلام، طبع بمصر.

٣٦ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) ط. دار الكتب المصرية عام ١٣٥٨هـ.

٣٧ – جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر الطبعة الأولى عام ١٣٢٠هـ.

٣٨ – الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري، لآدم متيز، نشر دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٩ – الحور العين: نشوان الحميري، طبع بمصر عام ١٩٤٨م.

٤٠ – دراسات في أصول التفسير ومناهجه، د. عمر يوسف حمزة، الطبعة الأولى، شركة سعيد رأفت بالقاهرة عام ١٩٩٠م.

٤١ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين السيوطي، ط. دار الفكر عام ١٤٠٣هـ بيروت.

٤٢ – دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجورجاني، ط٢، المنار عام ١٣٣١هـ.

٤٣ – دمية القصر وعصرة أهل العصر: لعلي بن الحسين، طبعة حلب عام ١٣٤٩هـ.

٤٤ – ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين، طبعة أولى عام ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م.

٤٥ - ديوان المفضليات، لأبي العباس المفضل بن محمد مع شرحه لأبي محمد القاسم، طبعة كارلوس يعقوب لابل، بيروت عام ١٩٢٠م.

٤٦ - ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين، لابن جرير الطبري، طبع بمصر عام ١٣٢٦هـ.

٤٧ - رغبة الأمل من كتاب الكامل وهو شرح لكتاب الكامل للمبرد لسيد بن علي المرصفي، طبع بمصر عام ١٣٤٦هـ - ١٣٤٨هـ.

٤٨ - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية للمالكي، طبع بمصر عام ١٩٥١م.

٤٩ - سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، خرج أحاديثه فواز أحمد وإبراهيم محمد الجمل، طبعة دار الكتاب العربي-بيروت، ط٥ عام ١٤١٠هـ.

٥٠ - سفينة البحار: المسمى (سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار) لعباس بن محمد رضا القمي، مجلدان، طبع في النجف عام ١٣٥٥هـ.

٥١ - سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية.

٥٢ - سنن النسائي، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيث النسائي (ت ٣٠٣هـ) الطبعة الأولى عام ١٣٤٨هـ، دار الفكر ببيروت.

٥٣ - شرح منهج البلاغة لابن أبي الحديد، طبعة بيروت.

٥٤ - شعر النابغة اللجعدي، طبعة أولى عام ١٣٨٤هـ المكتب الإسلام، دمشق.

٥٥ - صحاح اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية) إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، عام ١٣٧٧هـ دار الكتاب العربي بمصر.

٥٦ - ٥٥

٥٧ - صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل، طبع مع فتح الباري، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٨ - صحيح مسلم للإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دارر إحياء التراث العربي.

٥٩ - ضحى الإسلام: أحمد أمين، طبعة القاهرة.

٦٠ - طبقات علماء إفريقية، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم ط. الجزائر ١٩١٤م.

٦١ - الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٣٠هـ) طبعة دار صادر - بيروت.

٦٢ - طبقات المفسرين: للداودي ط.١، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ١٣٩٢هـ.

٦٣ - طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر الزبيدي، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٦٤ - العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم: حسين عبد الحميد رشوان، الناشر المكتب الجامعي بالإسكندرية.

٦٥ - علوم الحديث: د.موسى شاهين، ود. يوسف عبد المقصود، ط. الفجر الجديد، القاهرة.

٦٦ - غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين بن الجزري، ط مصر ١٣٥١هـ.

٦٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ.

٦٨ - فتح القدير: محمد علي الشوكاني، طبعة دار الفكر بيروت، عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٩ - الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي، ط دار الآفاق بيروت عام ١٤٠٢هـ.

٧٠ - فهرسة ابن خير لأبي بكر محمد بن خير الاشبيلي، طبع في سرقسطة عام ١٨٩٣هـ.

٧١ - القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، المطبعة الأميرية ببولاق، طبعة ثالثة عام ١٣٠١هـ مصر.

٧٢ - الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، طبع بمصر عام ١٣٢٣هـ.

٧٣ - كتاب الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ط٣ عام ١٣٨٨هـ بيروت.

٧٤ - كتاب التصريف، تأليف يحيى بن سلام، تحقيق هند شلبي، طبع في تونس عام ١٩٨١م.

٧٥ - كتاب تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، لأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ حققه الدكتور محيي الدين رمضان ط. دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١ عام ١٤٠٥هـ.

٧٦ - الكتاب جمع أبي بشر عمرو بن عثمان، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق بمصر.

٧٧ - كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق د. محيي الدين رمضان ط. مؤسسة الرسالة عام ١٤١٨هـ.

٧٨ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ط. تركيا عام ١٣٦٠هـ

٧٩ - لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط. دار صادر بيروت.

٨٠ - لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، طبع في حيدر آباد عام ١٣٣١هـ.

٨١ - لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن، صابر غانم، طبعة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، عام ١٩٨٨م.

٨٢ - مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط.١٣، دار الملايين بيروت ١٩٨١م.

٨٣ - مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ط. الخانجي بمصر عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

٨٤ – مجالس ثعلب أبي العباس أحمد بن يحيى شرح عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف بمصر، عام ١٩٤٨م.

٨٥ – مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي، طبعة مصر.

٨٦ – المحبر: محمد بن حبيب، طبع في حيدر آباد، عام ١٣٦١هـ – ١٩٤٢م.

٨٧ – المسند للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) طبعة دار صادر بيروت.

٨٨ – المسيحية نشأتها وتطورها شار حنبر، طبعة دار المعارف، بيروت.

٨٩ – معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبد الرحمن بن محمد الدباغ، طبعة تونس عام ١٣٢٠هـ.

٩٠ – معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة.

٩١ – معاني القرآن للأخفش، تحقيق عبد الأمير محمد أمين، ط١ عالم الكتب بيروت ١٤٠٥هـ.

٩٢ – المعجم الوسيط، تأليف مجمع اللغة العربية المكتبة الإسلامية.

٩٣ – مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده، طبعة حيدر أباد ١٣٢٩هـ.

٩٤ – المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط. دار المعرفة، بيروت.

٩٥ – مقالات الإسلاميين للشعري، طبعة مكتبة النهضة بالقاهرة.

٩٦ – مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة دار الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

٩٧ – مناهج المفسرين، د. مصطفى الصاوي الجويني، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية.

٩٨ – منهج البحث العلمي عند العرب: جلال موسى، دار الكتب اللبناني، بيروت، طبعة ١٩٧٢م.

٩٩ – المنية والأمل، للشريف المرتضى، طبعة بيروت.

١٠٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزي، طبع بمصر عام ١٣٢٧هـ.

١٠١- الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة دار إحياء التراث.

١٠٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، طبع في مصر عام ١٣٢٥هـ.

١٠٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تفري بردي، طبع في دار الكتب المصرية عام ١٣٤٨هـ - ١٣٧٥هـ.

١٠٤- النحو لأبي الطيِّب اللغوي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. مكتبة نهضة مصر.

١٠٥- النحو وكتب التفسير. د.إبراهيم فيدة، ط.١، المنشأة الشعبية، طرابلس ليبيا.

١٠٦- نزهة الألباء في طبقات الأدباء للانباري، طبع بمصر عام ١٢٩٤هـ.

١٠٧- نسب قريس: مصعب بن عبد الله الزبيري، طبع بمصر ١٩٥٣م.

١٠٨- النقد المنهجي عند العرب، د. محمد مندور، طبعة دار النهضة بمصر.

١٠٩- النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني، وقد طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق: محمد خلف الله، ودزغلول سلام، طبع بمصر.

١١٠- نكت الهيمان في نكت العميان، صلاح الدين خليل، طبع بمصر عام ١٣٢٩هـ.

١١١- همع الهوامع، للإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) طبعة مصر..

١١٢- وفيات الأعيان لابن خلكان، مجلدان، طبع في مصر، عام ١٣١٠هـ.

The approach of Ibn Abbas and its effect on lingual and rhetorical attitudes in explication

Prof.Dr. Omar Yousef Hamza
Head of course & moralties section - Religion rules faculty - Islamic university of Omm Darman - Sudan republic

Research work:

1) Abdulallah Bin Abbas is the best man, among the companions of the Prophet, deserved to be call, the explainer, a matter recited by messenger of Allah (Blessing of Allah may be upon him) who recommended him as a man of knowledge and Prayed for him by saying: " May Allah teach him religion and interpretation ".

2) At the first half century of Hejra all people including Companions and the others recognized Bin Abbas' curious talent, ability, and wide knowledge concerning interpreting the Holy Qur'an.

3) Bin Abbas' interpretation of Qur'an connected to elements composed his approach of the same. such elements represented in his comprehensive knowledge of reasons of revelation, ambiguous meaning of Qur'an in addition to make the best use of language in understanding the single meaning or the secret of structure, extracting material of the same from pre Islamic poetry. At many times when he is asked about meaning of Quranic compounds, he said don't you hear the poet's saying, so, and so then recited the dedicated verse of poetry. Such case has been proved by Bin Saad in the classes. Bin Abbas "may God be pleased with him" was well-known for considering poetry as an evidence and reference as per regue styles of Quran. He lived long in a time when very few people well instructed about revelation, natural dispointion turned work and the Arabs mixed with non-Arabs.

4) Bin abbas has added an element for Quran interpretation concerning news weren't mentioned in prophet's "may blessing of Allah be upon him" speeches and regarded as a reference for explanation of Quranic am big uous meanings, Bin Abbas derived such additions from general history and nations news available at such time, especially from the two non-muslim nations, christians and Jews as well as from Arab news during pre-islamic age.

5) Bin Abbas own literal culture was the most important support for him as per language handling.

He used for talking Quranic language, that is, he realized the target meaning out of the opposite word, such as the word "calamity", mentioned in the Holy verse, "there in was a tremendous trial from your God" which he

realized it as a "blessing" supported by such language cultrue, Bin Abbas could liable to explain the un familiar word mentioned in Quran It's said by Assyouti that Bin Abbas was gifted the talent of explaining vague and inconspicuous expressions of Quran, a matter proved by correct and affirmed predication.

6) Rhetorical and language trends in interpreting Holy Quran is looked upon as an extension of Bin Abbas " May God be pleased with him" approach since he was the first who turned explanation of Quran from the circle of sayings and proverbs into that of Arab tongue especially for explanations not talked by such sayings. Bin Abbas as well as those who educated by him were great stars tutors in Mecca School, such as mujahid Bin Jabt, Arimah, his master and said Bin Jabair, these people are the true representitives of such trend during Its century.

7) taking care of the language element besides saying was the prevailed approach of Quran interpretation after being supported by Sam rhtrocial taclings, a circle growing widely bit by bit till over come language element, which wasn't fully ignored in many of explanation books depended perfectly on language element.

8) Bin Abbas saying put before other sayings of companions when their explanations noticed contrast, thu Bin Abbas was regarded as a nation of science, knowledge, Hadith,interpretation, Jurisprudence, Calculation, Religions Duties and Arabic language. As well as his session was well-known-He was actually the interpreter of Quran and the great shcholar of the nation.

9) Bin Abbas truest predications in hedith is what was mentioned by Al-Zohary by Bin Abdullah Bin outba about Bin Abbas, the weakest ones are mentioned by Mohammed Bin Al Soudi Al-Sabhar by Al-Khalbi, by Ali Saleh which called {Series of lying}, a matter notified by Al-imam Al-Nasa' I {Mercy may be upon him}.

10) the feeble and the most undermined may of explanation of Quran is the series of lying. Classified first weak degree, then came Al-Dahak Bin Mozahim's approach which seen as separate as he didn't live in Bin Abbas time the two way are overcome by halith.

11) As for good approaches of explanation Quran is.

First: Ali Bin Abi Talha Al. Hashimi Approach certificated by Al-Bukhari when cited Bin Abbas sayings.

Second: Qais', approach, for Atta Bin Al-Said, for said Bin Jubair, Certified by the two Sheikh and by which Alha him Al-Nissabory issued same of hadiths in his predication.

Third: Bin Issac's approach, for Mohammed Bin Ali Mohammed, serrant or Allah Zaid Bin Thabit, for Akhranah or said Bin Jubair, and by which Bin Jarir Al-Tabri issued and brought out a lot of reports in his explanation.